

طرابلس الشام تاريخها وآثارها في العصر الاسلامى

للدكتور
السيد عبد العزيز سالم

مستخرج من مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية
العدد السادس عشر السنة ٦٢ - ١٩٦٣

مطبعة جامعة الاسكندرية
١٩٦٣

طرابلس الشام

تاريخها وآثارها في العصر الاسلامي

للمركنور السيمر عبير العزيز سالم

أتيت لي فرصة زيارة مدينة طرابلس الشام ، في الوقت الذي كنت فيه معاراً لجامعة بيروت العربية للعام الجامعي ١٩٦١ - ١٩٦٢ ، فبحثت عن تاريخ لهذه المدينة فلم أجد ، ثم زرت آثارها ، ولم يكن معي غير دليل صغير عن أهم معالمها ، وذهلت لكثرة الآثار الاسلامية التي تكتظ بها المدينة ، ووجدت نفسي منساقاً الى الكتابة عن هذه الآثار ، فأعدت زيارتي لطرابلس مرة بعد مرة ، وأخيراً أقمت بالمدينة فترة من الزمن قمت خلالها بدراسة أهم آثارها الاسلامية . واتصلت في أثناء هذه الفترة بالعالم الكبير الأمير مرريس شهاب ، مدير الآثار بلبنان والأستاذ بالجامعة اللبنانية ، الذي أنتهز هذه الفرصة لأقدم له جزيل شكرى على ارشاداته وترجيحاته ومعاونته الصادقة ..

تقع مدينة طرابلس الشام على منتصف الساحل الشرقي لحوض البحر الأبيض المتوسط تقريباً ، وتبعد عن مدينة بيروت عاصمة لبنان بنحو تسعين كيلو متراً ، ويحمي طرابلس من الرياح الجنوبية الغربية السائدة عدة جزر صخرية صغيرة ، تتوزع أمام رأس الميناء . وقد ساعد هذا الموقع الرائع لمدينة طرابلس ، بالاضافة الى امكانياتها الاقتصادية المتوفرة ، على ازدهار الحياة الاقتصادية في المدينة ، وتقدمها تقدماً محسوساً ، بحيث أصبحت مدينة طرابلس لهذا السبب بحق العاصمة الثانية للجمهورية اللبنانية .

وتتألف مدينة طرابلس من الناحية العمرانية من قسمين أساسيين :
المدينة والميناء تفصل بينهما مساحات واسعة من الحدائق والبساتين .
أما المدينة فتتمتد على بعد ثلاثة كيلر مترات تقريباً شرقاً الميناء ، على الضفة
نهر قاديشا المعروف بنهر أبي علي ، في الموضع الذي يصل فيه هذا النهر
الى السهل بعد أن يجتاز المنطقة المرتفعة من سفح جبل لبنان . ويقوم
على الضفة اليسرى من هذا النهر نشز أو تل يشرف على مدينة طرابلس
الرابضة أدناه ، ويرتفع على هذا التل قلعة أثرية من أيام الصليبيين والمماليك
تعرف اليوم بقلعة صنجيل نسبة الى منشئها ريموند دي سان جيل ، كونت
دي تولوز ، الذي أقامها سنة ١١٠٣م أثناء حصاره لمدينة طرابلس القديمة
المطلية على البحر ، وسماها قلعة الحجاج نسبة للتل الذي أطلق عليه في ذلك
العصر اسم تل الحجاج Mons Peregrinus (١) .

وأخذ العمران ينمو منذ ذلك التاريخ أدنى هذه القلعة مكوناً مركزاً
عمرانياً ، اختاره المنصور قلاوون لبناء مدينة طرابلس بعد أن هدم المدينة
القديمة (المينا) ، وقدر لهذه المدينة القلاوونية أن تصبح من أعظم مدن الشام
في عصر دولتي المماليك البحرية والشرابية ، وما زالت هذه المدينة بآثارها
الاسلامية العديدة من مدارس ومساجد وقباب وخانات وحمامات وأسواق
تؤلف القسم الأعظم من طرابلس الحالية . ويمتد هذا القسم على جبل أبي
سمراء (تل الحجاج) وعلى النشز الواقع شرقاً نهر أبي علي وهو المسمى بتلة
القبّة ، وعلى جانبي الطرق المؤدية الى بيروت جنوباً والى اللاذقية شمالاً ،
وفي السهل الفاصل بين طرابلس والمدينة وطرابلس والميناء (٢) .

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة طرابلس .

فيليب حقي ، لبنان في التاريخ ، ترجمة الدكتور أنيس فريجة والدكتور نقولا زيادة ،
بيروت ١٩٥٩ ص ٣٥٢

(٢) أنظر تقرير بعثة اليونسكو الى لبنان منذ ١٥ نيسان حتى آخر آيار سنة ١٩٥٣

أما طرابلس المينا فتقع في نهاية السهل الحصب الممتد من مدينة طرابلس « القلاونية » الى الساحل والذي ينتهى بشبه جزيرة تحيط بها مياه البحر من الشمال والجنوب والغرب . وتكتمل منطقة الميناء المذكورة بأربع جزر صخرية أشرنا اليها فيما سبق ، وأهمها الجزيرة المعروفة عند أهل طرابلس بجزيرة الأرناب ، ويقصدونها بالسفن للتنزه ، وطرابلس المينا الحالية هي الموضع الذي كانت تقوم فيه مدينة طرابلس في العصور القديمة الى أن أمر قلاوون بهدمها تماما سنة ١٢٨٩ م .

(أولا) تاريخ طرابلس في العصر الاسلامي

تاريخ طرابلس القديم :

طرابلس الشام مدينة فينيقية الانشاء ، فقد أسسها الفينيقيون على امتداد الشاطئ الشمالي الشرقي لشبه جزيرة المينا ، وأطلقوا عليها اسم «أثر» Athar . ولا نعرف تاريخ تأسيس «أثر» على وجه التحديد ، وكل ما نعرفه في هذا السبيل أنها كانت تشتمل في عصر السيادة الفارسية في القرن الرابع ق. م . وبالذات في سنة ٣٥٩ ق. م وهي السنة الأولى من عهد الملك ارتخشستا الثالث أوكوس Artaxerxes III Ochus (٣٥٩ ق. م - ٣٣٨ ق. م) من ثلاثة أحياء تمثل المدن الفينيقية الثلاثة : صور وصيدا وأرواد، فكانت تشتمل على حى للصوريين وحى للصيداويين وحى للاروايين ، أى أنها كانت مركزاً لاتحاد فينيقى يضم المدن الثلاثة المذكورة ، أو عاصمة لهذا الاتحاد الثلاثى . وكان يحيط بكل من أحياء «أثر» الثلاثة سور قائم بذاته (١) وكانت هذه المدينة باعتبارها عاصمة للاتحاد الفينيقي ، مقرا لاجتماع المؤتمر الفينيقي العام ، وهو مؤتمر سنوى كان يشترك فيه نحو ثلاثمائة عضو يمثلون المدن الفينيقية الثلاثة . وكان للتدخل المتواصل الذى يقوم به ارتخشستا في شؤون هذا المؤتمر أثر كبير في أشعال نيران الثورة في «أثر» ضد السيادة الفارسية ، وبدأت هذه الثورة في الحى الصيداوى من «أثر»

(١) Bruce Condé, Tripoli of Lebanon, Beirut, 1961, p. 9

سنة ٣٥١ ق . م ، ثم انتشرت من هذا القطاع الى مدينة صيدا نفسها ، ثم اجتاحت بعد ذلك الساحل الفينيقي كله ، وكان نتيجة لهذه الثورة أن تمكنت تسع مدن فينيقية من طرد ممثلي الفرس فيها وأعلنت بذلك استقلالها ، فاضطر ارتخشستا ازاء هذه الحركة الى الخروج من بابل على رأس جيش كثيف قوامه ٣٠٠ ألف من المشاه و ٣٠ ألف من الفرسان ، قاصدا صيدا ، وتمكن من استرجاع المدينة ، بعد أن أبدى أهلها مقاومة شديدة واستبسلوا في الدفاع عن مدينتهم ، وكان انتقامه منهم هائلا ، اذ نقل سكانها الذين نجوا من الموت الى عاصمته بابل ، وأضرم النار في أبنية المدينة . وخافت المدن الأخرى الثائرة أن تنتهى الى هذا المصير ، فاستسلمت للفرس بعد سقوط صيدا مباشرة (١) .

ثم رحبت « أثر » بالاسكندر المقدوني كمحرر لها من نير الفرس ، فاستسلمت لعساكره سنة ٣٣٣ ق . م شأنها في ذلك شأن غيرها من مدن الساحل الفينيقي مثل ماراثرس ، وأرواد ، وجبيل ، وصيدا . أما صور فقد ظلت وحدها تقاوم جيوش الاسكندر حتى تمكن من فتحها سنة ٣٣٢ ق . م بعد حصار بحري وبري دام نحو سبعة شهور ، وانتقم منها بأن تركها وراءه خرابا تلتهمه النيران .

ثم تمزقت امبراطورية الاسكندر بعد وفاته ، وكانت سرورية من نصيب سلوقس الأول (٣١٢ - ٢٨٠ ق . م) الذي ضمها الى أملاكه سنة ٣١٢ ق . م واتخذ أنطاكية التي أسسها على الضفة اليسرى من نهر العاصي وسماها باسم أبيه أنطيوخس ، حاضرة له سنة ٣٠٠ ق . م . وفي هذا العصر السلوقي تحرلت بعض المدن ذات الأسماء السامية القديمة الى مدن هلنستية في الاسم وفي العمران ، فمدينة بيريتوس (بيروت) أصبحت تسمى لاوديسة ، ومدينة حماء سميت أيفمانية ، وأثر أصبحت تسمى تريبوليس أى المدينة الثلاثية ،

(١) فيليب حقي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، ترجمة الدكتور جورج

حداد . بيروت ١٩٥٨ ص ٢٤١ - ٢٤٨

Bruce Condé, op. cit. p.9.

ومع أن أغلب هذه المدن السورية القديمة التي تأغرقت قد فقدت صفتها الهلينية في العصور التالية ، واستردت بالتدريج شخصيتها السامية ، فإن مدينة تريبوليس تعتبر الاستثناء الوحيد لهذه المدن ، فقد ظلت تحتفظ باسمها الاغريقي ، الذي عرّبه المسلمون الى طرابلس (١) .

ثم دخلت تريبوليس في فلك الامبراطورية الرومانية . وعلى الرغم من أن هذه المدينة لم تلعب في العصر الروماني دوراً تاريخياً هاماً ، ولم تظفر بالمكانة السامية التي ظفرت بها بعض مدن لبنان مثل بيروت التي أصبحت تؤلف المركز الثقافي للرومان ، ولاوديسة (اللاذقية) ، وأفامية ، وحمص ، ودمشق وهليوبوليس (بعلبك) التي أصبحت المركز الديني ، فقد اهتم الرومان بمدينة تريبوليس ، فجعلوها بالمباني الرائعة والعمائر الفخمة للالهة عشروت (الهة السماء) وللاله أدونيس اله الجمال ، وللاله ديوسكوريدس (ابن جوبيتر) . وللأسف لم يصل إلينا اليوم شيء من هذه الأبنية في موضعه اللهم الا ما استخدم من أعمدتها الحرائيقية والرخامية وبعض أحجارها المنقوشة في بناء المساجد والمدارس الطرابلسية .

الفتح العربي :

أصبحت تريبوليس في القرن السادس الميلادي بزلزال عنيف أدى الى تخريب عدد كبير من آثارها القديمة الا أن المقاومة الشديدة التي قابلت بها هذه المدينة ، الجيوش العربية سنة ٦٣٥ م تدل دلالة واضحة على أنه أعيد بناؤها من جديد قبيل الفتح العربي (٢) .

كانت حصون مدينة طرابلس عند الفتح العربي في غاية الوثاقة والاحكام ، ولكن المدينة كانت مهتدة بقطع الاتصال برياً مع غيرها من المدن ، لأن المدينة كانت تمتد على شبه جزيرة المينا ، وكان في إمكان

(١) فيليب حتى ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ٢٧٨

(٢) M. Sobernheim, Corpus Inscriptionum Arabicarum, t. II. 1909, p. 38 - Bruce

تقرير بعثة اليونسكو الى لبنان ص ١٠ Condé, op. cit. p. 10.

الفاتحين أن يعزلوها عن المناطق والنواحي المجاورة ويقطعوا عنها المياه التي يزودها بها نهر قاديشا (أبر على) . وقد حدث هذا بالفعل عندما فتحتها معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان بن عفان . وأغلب الظن أن العرب افتتحوا مدن الساحل اللبناني بعد أن افتتحوا دمشق مباشرة سنة ٦٣٥ م . فقد ذكر البلاذري نقلا عن أبي حفص الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز عن الوضين ، أن يزيد بن أبي سفيان «أتى بعد فتح دمشق صيدا وعرة وجبيل وبيروت ، وهي سواحل ، وعلى مقدمته أخره معاوية ، ففتحها فتحاً يسيراً ، وجلا كثيراً من أهلها ، وتولى فتح عرة معاوية نفسه في ولاية يزيد ، ثم إن الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر بن الخطاب أو أول خلافة عثمان بن عفان ، فقصد لهم معاوية حتى فتحها ، ثم رمها وشحنها بالمقاتلة ، وأعطاهم القطائع » (١) . ونفهم من ذلك أن معاوية افتتح عرة ، وهي مدينة ساحلية تقع شمال طرابلس مباشرة ، ولا تبعد عنها كثيراً . ويبدو أن معاوية حاصر طرابلس ، ولكنها استعصت عليه لحصانة أسوارها ، والظاهر أنه افتتحها فتحاً يسيراً بدليل ما ذكره البلاذري من أن معاوية « كان يقيم على حصنها اليومين والأيام اليسيرة فربما قوتل قتالا غير شديد ، وربما رمى ففتحها » (٢) . ثم انتقضت طرابلس في آخر خلافة عمر بن الخطاب (٣) ويضيف البلاذري أنه لما « استخلف عثمان وولى معاوية الشام ، وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدي الى طرابلس ، وهي ثلاث مدن مجتمعة ، فبنى في مرج (٤) على أميال منها حصناً سمي حصن سفيان ، وقطع المادة عن أهلها من البحر وغيره ، وحاصرهم ، فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة ، وكتبوا الى ملك الروم يسألونه أن يمدهم أو يبعث اليهم

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، القسم الأول نشره الدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٦ ص ١٥٠

(٢) نفس المرجع ص ١٥٢

(٣) كذلك انتقضت مدينة الاسكندرية في أول خلافة عثمان بن عفان بعد أن وصلها الأسطول البيزنطي بقيادة منويل ، واحتلتها القوات البيزنطية بمساعدة أهلها .

(٤) يقصد بذلك السهل الحصص الممتد من نهر أبي على حتى الميناء .

بمراكب يهربون فيها الى ما قبله ، فرجه اليهم بمراكب كثيرة ، فركبوها ليلا وهربوا ، ، فلما أصبح سفيان - وكان يبيت كل ليلة في حصنه ويحصن المسلمين فيه ، ثم يغدو على العدو - وجد الحصن الذي كانوا فيه خاليا ، فدخله ، وكتب بالفتح الى معاوية ، فأسكنه معاوية جماعة كبيرة من اليهود ، وهو الذي فيه المينا اليوم » (١) .

طرابلس في عصر بني أمية :

أصبحت طرابلس بعد ذلك قاعدة بحرية ودار صناعة ، لتوافر أخشاب شجر الأرز اللبثاني ، وذلك في خلافة معاوية ومن خلفه من بنيهم ومن بني مروان . وكان معاوية يوجه اليها كل عام جماعة كثيفة من الجند ، يشحنها بهم للدفاع عنها اذا ما أغار عليها الروم من جهة البحر ، كما كان يولى عليها عاملا من قبله . وكانت حامية طرابلس تقيم بالمدينة فترة الصيف ، ثم يقفل الجند عن طرابلس الى دمشق عندما ينغلق البحر ، وتصعب الملاحة فيه بسبب الأنزاع والعراصف ، فيبقى العامل في قصره لا يفارقه مع عدد قليل من الجند ، وتغلق أبواب المدينة . وظل الأمر على هذا الحال حتى كانت أيام الخليفة عبد الملك بن مروان ، الذي أعاد بناء حصن طرابلس القديم . ويذكر البلاذري أنه قدم في أيامه « بطريق من بطارقة الروم ومعه بشر منهم كثير ، فسأل أن يعطى الأمان على أن يقيم بها ، ويؤدي الخراج ، فأجيب الى مسئلته فلم يلبث الا سنتين أو أكثر منهما بأشهر حتى تحين قفول الجند عن المدينة ثم أغلق بابها ، وقتل عاملها ، وأسر من معه من الجند وعدة من اليهود ولحق وأصحابه بأرض الروم . فقدر المسلمون بعد ذلك عليه في البحر وهو متوجه الى ساحل للمسلمين في مراكب كثيرة ، فقتلوه ، ويقال بل أسروه

(١) البلاذري ١٥١ ، وقد ذكر اليعقوبي في كتابه البلدان أن معاوية نقل الى طرابلس جماعة من الفرص (أنظر البلدان ، ليدن ١٨٩١ ص ٣٢٧)

وبعثوا به الى عبد الملك فقتله وصلبه « (١) . وقيل أن عبد الملك بعث اليه من حاصره بطرابلس ، ثم أخذه سلماً ، وحمله اليه ، فقتله . وقيل أيضاً أن طرابلس انتقضت أيام عبد الملك ثم افتتحها الوليد بن عبد الملك في زمانه (٢) .

وظلت طرابلس طوال العصر الأموي أحد ثغور الشام الحصينة التي تهتم بها الخلفاء الأمويون ، فرموا قلاعها وأسوارها ، وشحنوها بالأجناد والمقاتلة ، وأقاموا الحرس على منازرها ، واتخذوا المواقيد بها (٣) ويبدو أنهم فعلوا ذلك احتياطاً لأي غزو بحري يقوم به الروم ، كما فعلوا سنة ٢٥ هـ عندما غزوا الاسكندرية وساحل الشام (٤) ، وكما فعلوا بعد ذلك عندما أغاروا على ساحل اللاذقية سنة ١٠٠ هـ ، في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فهدموا مدينتها ، وسبوا أهلها (٥) .

طرابلس تحت ظل الفاطميين :

ولما قامت الدولة العباسية ، أصبحت طرابلس تابعة لولاية دمشق ، وظلت كذلك الى أن خضعت مع غيرها من مدن الشام لنفوذ أحمد بن طولون ٢٦٤ هـ ، وابنه حمارويه من بعده (٦) . ثم عادت طرابلس مرة ثانية الى نفوذ العباسيين ٢٨٧ هـ . ثم خضعت طرابلس مرة ثانية لمصر في عهد محمد بن طغج الأخشيدي سنة ٣٣٠ هـ . وظلت طرابلس الشام تابعة لمصر الأخشيدي الى أن استولى الفاطميون على الشام سنة ٣٦١ هـ ، ففصلت حكومة طرابلس عن اقليم دمشق ، وأصبحت مدينة طرابلس يتولاها عامل من قبل الخليفة الفاطمي في القاهرة .

(١) البلاذري ص ١٥١

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع .

(٤) ابراهيم أحمد العدوي ، الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٦٢

(٥) البلاذري ص ١٥٧

(٦) حسن أحمد محمود ، مصر في عصر الطولونيين ، القاهرة ١٩٦٠ ص ٤٧ - ٦٢

تألفت طرابلس في عهد الفاطميين تألقاً يشهد به من كتب عنها في ذلك العصر من الرحالة والمؤرخين . فقد وصفها الاصطخرى في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري في كتابه «مسالك الممالك» بأنها «مدينة على بحر الروم عامرة ذات نخل وقصب سكر ونخصب» (١) وكذلك وصفها المقدسى من علماء النصف الثاني من القرن الرابع الهجري بأنها أجل من صيدا وبירות وهما مدينتان على الساحل حصينتان (٢) .

وقد تعرضت طرابلس لغارات بحرية قام بها البيزنطيون الذين كانوا دائمى التطلع لاسترداد الشام ، ففي سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م.) غزا الروم الساحل السورى، وافتتحوا حصن عرقة، واكتسحوا نواحي طرابلس ، ثم أعادوا الكرة سنة ٣٦١ هـ، وانتهبوا بيروت وجبيل، وفي سنة ٣٨٥ هـ قام البيزنطيون بحملتين فاشلتين ضد طرابلس ، اذ تصدى لهم أهل المدينة ودافعوهم دفاعاً مجيداً ، وأرغموا الامبراطور بازيلوس على رفع الحصار . وكان السلاجقة قد ثبتوا أقدامهم في شمال الشام ، فاستولوا على حلب ودمشق ، ولم يبق من أملاك الفاطميين في الشام غير مدن الساحل اللباني ابتداء من طرابلس في الشمال . وكانت طرابلس في النصف الأول من القرن الخامس الهجري مدينة عامرة كثيرة الخيرات ، وصفها الرحالة الفارسي ناصر خسرو سنة ٤٣ هـ (١٠٤٦ م) بقوله : «وحول المدينة المزارع والبساتين وكثير من قصب السكر وأشجار النارج والترنج والموز والليمون والتمر . وكان عسل السكر يجمع حينئذالك» ثم وصف المدينة وذكر أهم معالمها في العصر الفاطمي فقال : «ومدينة طرابلس مشيدة بحيث تكون ثلاثة من جوانبها مطلة على البحر ، فاذا ماج علت أمواجه السور، أما الجانب المطل على اليابس فيه خندق عظيم ، عليه باب حديدى محكم ، وفي الجانب الشرقى من المدينة قلعة من

(١) الاصطخرى (أبو اسحق الفارسي) : مسالك الممالك ، الجزء الأول من المكتبة الجغرافية

العربية ليدن ١٩٢٧ ، ص ٦١

(٢) المقدسى (شمس الدين أبى عبد الله محمد) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٦

ص ١٦٠

الحجر المصقول عليها شرفات ومقاتلات من الحجر نفسه ، وعلى قماتها عرادات لوقايتها من الروم ، فهم يخافون أن يغير هؤلاء عليها بالسفن . ومساحة المدينة ألف ذراع مربع ، وأربطتها أربع أو خمس طبقات ، ومنها ما هو ست طبقات أيضاً . وشرارعتها وأسواقها جميلة ونظيفة حتى لتظن أن كل سوق قصر مزين . وقد رأيت بطرابلس ما رأيت في بلاد العجم من الأطعمة والفواكه ، بل أحسن منه مائة مرة » . وأخيراً يصف المسجد الجامع فيقول : « وفي وسط المدينة جامع عظيم نظيف جميل النقش حصين ، وفي ساحته قبة كبيرة تحتها حوض من الرخام في وسطه فواره من النحاس الأصفر » (١) .

طرابلس حاضرة بني عمار :

ظلت طرابلس تحت السيادة الفاطمية الى أن استقل بها أبو طالب بن عمار ، قاضى طرابلس واستبد بأمرها ، فلما توفى في رجب سنة ٤٦٤ هـ (١٠٧١ م) قام مكانه ابن أخيه الملك أبو الحسن بن عمار الذي تلقب بجلال الملك (٢) . وكان أمراء بني عمار يشجعون العلماء والأدباء بالعطايا والهبات وأسسوا مدرسة سموها دار العلم ، وكانت مكتبة طرابلس في عهدهم تضم مائة ألف مجلد . وفي عهدهم بلغت طرابلس ذروة مجدها وعظمتها (٣) واكتمل ازدهارها الاقتصادي والفني ، وأهم ما اشتهرت به طرابلس في هذا العهد صناعة الورق الذي يفوق ورق سمرقند من حيث الجودة . ولكن لم يتح لهذا الرخاء أن يستمر طويلاً ، ففي الوقت الذي تولى فيه الأمير فخر الملك أبو علي عمار بن محمد بن عمار آخر أمراء بني عمار إمارة طرابلس سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٨ م) ، كانت الحملة الصليبية الأولى في طريقها الى بلاد الشام ، وتمكن بلدوين من الاستيلاء على الرها في نفس هذا

(١) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥ ص ١٣

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، طبعة بولاق ١٢٩٠ هـ ج ١٠ ص ٢٦

أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، القسطنطينية ١٢٨٦ هـ ج ٢ ص ١٩٨

(٣) ابن الأثير ، المرجع السابق ج ١٠ ص ٢٦

العام، وأسس فيها أولى الامارات اللاتينية ، كما تمكن بوهمند من الاستيلاء على أنطاكية في العام نفسه ، وأسس فيها امارة صليبية . واستمرت جيوش الصليبيين في تقدمها جنوباً نحو بيت المقدس متبعة طريقين ، أحدهما جوفى والآخر ساحلي ، وتمكن ريموند دي سان جيل Raymond de Saint Gilles كونت دي تولوز من الاستيلاء على حصن الأكراد، ثم هاجم عرقة، فقاومته طويلاً مما أضطره الى رفع الحصار عنها أملاً في الاستيلاء على بيت المقدس . وقيل ان فخر الملك بن عمار بعث اليه هدايا قيمة وأمر الا طائلة حتى يصرفه عن دولته . وبالفعل تابعت جيوش الصليبيين سيرها جنوباً، فاستولت على بيت المقدس ١٠٩٩ ، وتولى امارتها جود فروي، ثم خلفه أخوه بلدوين بعد عام واحد . وكان ريموند دي سان جيل أو صنجيل حسب المصادر العربية يزعم العودة لمهاجمة طرابلس أملاً في الاستيلاء عليها وجعلها مركزاً لامارة بهذا الاسم ، بعد أن فشل في الظفر بامارة بيت المقدس ، فاقبل اليها مع فرقة من فرسانه ، وهاجمها ، ولكنه لم يوفق في افتتاحها لحصانها ووثاقه أسوارها ، فاضطر الى محاصرتها ٤٩٢ هـ (١٠٩٩ م)، ولما طال عليه الحصار أقام على التل المشرف على نهر قاديشا قلعة عرفت باسمه، وكان ذلك في ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) وفي ذلك يقول ابن الاثير «وأقام على طرابلس محصرها ، فحيث لم يقدر أن يملكها بنى بالغرب منها حصناً وبنى تحته ربضاً، وأقام مراصداً لها ومنتظراً وجود فرصة منها ..» (١) وكان الأمير فخر الملك يغير على هذا الحصن لاضعاف خصومه ، ففي سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٤ م) خرج فخر الملك ابن عمار في عسكره مع عدد كبير من أهل طرابلس وهاجموا «الحصن الذي بناه صنجيل عليهم، وأنهم هجموا عليه على غرة ممن فيه ، فقتل من به ونهب ما فيه وأحرق وأخرب وأخذ منه السلاح والمال والديباج والفضة الشيء الكثير وعاد الى طرابلس سالماً» (٢) . وهاجم الأمير فخر الملك هذا الحصن مرة ثانية في طليعة سنة ٤٩٩ هـ (١١٠٥ م) «فأحرق ربضه

(١) نفس المرجع ص ١٥٤

(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ ص ١٤٦

ووقف صنجيل على بعض سقوفه المحترقة ، ومعه جماعة من القمامة
ونقرسان ، فانخسف بهم ، فمضى صنجيل من ذلك عشرة أيام ومات وحمل
الى القدس فدفن فيه . ثم أن ملك الروم أمر أصحابه باللاذقية ليحملوا
الميرة الى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس ، فحملوها في البحر ، فأخرج
فيهم فخر الملك بن عمار أسطولاً فجری بينهم وبين الروم قتال شديداً ،
فصر المسلمون بقطعة من الروم فأخذوها وأسروا من كان بها وعادوا » (١) .

سقوط طرابلس في ايدي الصليبيين .

اشتد حصار الفرنج لمدينة طرابلس وكان الأسطول الجنوى يقطع
الأقوات على المدينة من البحر ، بينما كانت قوات الفرنج تحاصر الميناء
براً : بعد أن انتسفت الزروع والبساتين الواقعة على نهر قاديشا ، وطال الحصار ،
وانقطعت الأقوات عن طرابلس ، واشتدت المحنة على سكان طرابلس « فعدمت
الأقوات به ، وخاف أهله على نفوسهم وأولادهم وحرملهم ، فجلا الفقراء ،
وانتفى الأغنياء وظهر من ابن عمار صبر عظيم وشجاعة ورأى سديداً » (٢) .

وفي سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) تابعت المكاتبات بين فخر الملك بن عمار
الى السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملكشاه السلجوقي ، ووصف له
فخر الدين عظم « ما ارتكبه الافرنج من الفساد في البلاد وتملك المعقل
والحصون بالشام والساحل والفتك في المسلمين ومضايقة ثغر طرابلس
والاستغاثة اليه والاستصراخ والحض على تدارك الناس بالمعونة » (٣)

ولما اشتد الأمر بفخر الملك من حصار الافرنج وتطاول أيامه ، (٤)
وقلت عنده الأموال ، وقاسى أهل طرابلس الفقراء ، اضطروا الى الحجر

(١) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٥٤

(٢) نفس المرجع .

(٣) ابن القلانسي ، ص ١٥٦

(٤) كان السبب في استمرار مقاومة أهل طرابلس للصليبيين أنهم ظفروا سنة ٥٠٠ هـ بمركب
تحمل مؤبداً وأقواتاً من جزيرة قبرص وأنطاكية ، « فاشتدت قلوبهم وقوا على حفظ البلد
بعد أن كنوا استسلموا » ابن الأثير ج ١٠ ص ١٧٠

على أموال الأغنياء ووزعها على الفقراء متبعا في ذلك النظام الاشتراكي الاسلامي ، وفي ذلك يقول ابن الأثير « وأجرى ابن عمار الجرايات على الجند والضعفاء ، فلما قلت الأموال عنده شرع يقسط على الناس ما يخرجهم في باب الجهاد ، فأخذ من رجلين من الأغنياء مالا مع غيرهما ، فخرج الرجلان إلى الفرنج وقالوا ان صاحبنا صادرنا ، فخرجنا إليكم لنكون معكم ، وذكروا له أنه تأتيه الميزة من عرقة والجبل ، فجعل الفرنج جمعا على ذلك الجانب بحفظه من دخول شيء إلى البلد ، فأرسل ابن عمار ، وبذل للفرنج مالا كثيرا ليسلموا الرجلين إليه ، فلم يفعلوا ، فوضع عليهما من قتلتهما غيلة . وكانت طرابلس من أعظم بلاد الاسلام وأكثرها تجملا وثروة ، فباع أهلها من الحلى والأواني الغريبة مالا حده عليه ، حتى بيع كل مائة درهم نقرة بدينار » (١).

وطال ترقب فخر الملك لوصول الامدادات من بغداد دون جدوى ، فعزم على الخروج بنفسه لمقابلة السلطان السلجوقي والانتصار به ، فاستتاب عنه بطرابلس ابن عمه أبا المناقب ، ووجوه أصحابه ، وأمره بالمقام بالمدينة « ورتب معه الأجناد برا وبحرا ، وأعطاهم جامكية ستة أشهر سلفا ، وجعل كل موضع إلى من يقرم بحفظه بحيث أن ابن عمه لا يحتاج إلى فعل شيء من ذلك » (٢) وخرج الأمير فخر الملك قاصدا بغداد في رمضان سنة ٥٠١ هـ (١١٠٧ م) . وسار إلى دمشق . فأكاد يصل هناك حتى بلغه خروج ابن عمه عليه ومناذاته لشعار الأفضل شاهنشاه بن بدر الحمالي وزير الخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمي (٣) . فكتب فخر الملك إلى أصحابه يأمرهم بالقبض على أبي المناقب وحمله إلى حصن الخواري من حصون طرابلس ، ففعلوا ما أمرهم .

(١) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٥٤

هذا النص يدلنا على أن النظام الاشتراكي طبق على طرابلس عند الضرورة ، فصودرت أموال الأغنياء ووزعت على الفقراء ، وكان هناك فريق من الرجعيين الذين لم يرضهم مصادرة أموالهم في سبيل الوطن ، فتآمروا مع الأعداء ودلوهم على عورات المسلمين ، ولاشك أن هذا النص على جانب كبير من الأهمية لأنه يكشف لنا عن دور هام قامت به مدينة طرابلس ، قلعة العروبة في العصر الاسلامي ، وقلعتها في العصر الحاضر .

(٢) ابن الأثير ج ١٠ ص ١٧٠

(٣) ابن القلانسي ص ١٦٠ - ابن الأثير ص ١٧٠

ولكن أهل طرابلس كاتبوا الأفضل يلتمسون منه واليا يقيم بطرابلس ،
كما طلبوا منه أن يرسل اليهم الميرة في البحر « فسير اليهم شرف الدولة
ابن أبي الطيب واليا ومعه الغلة وغيرها مما يحتاج اليه البلاد في الحصار » (١)
وما كاد هذا الوالى يصل الى المدينة حتى قبض على جماعة من أسرة
ابن عمار وأتباعه وصادر أموالهم وعقاراتهم ، ونفاهم الى مصر .

عاد فخر الملك بن عمار من بغداد في منتصف المحرم سنة ٥٠٢ هـ .
فأقام بها عدة أيام وتوجه منها مع بعض عسكره الى جبيل ، فدخلها واستقر
بها ، وظل هناك الى أن استولى الصليبيون عليها بعد ذلك .

أما الفاطميون فقد كانوا أقل كفاية من بنى عمار في الدفاع عن آخر
معقل عربي على الساحل السوري ، فقد أحكم الأسطول الحنوي والفرنجي
الحصار البحري على الميناء . وفي أول شعبان سنة ٥٠٣ هـ (١١٠٩ م)
وصل الى ميناء طرابلس أسطول حربي كبير شدد الحصار على الميناء وقطع
عن المدينة كل اتصال خارجي مع مصر ، وفي نفس الوقت هاجم برتران
دى تولوز Bertrand de Toulouse ابن ريموند دى سان جيل ، ويسميه
المؤرخون العرب ريمند بن صنجيل أسوار مدينة طرابلس وانضم اليه في الهجوم
عدد كبير من المقاتلين الأفرنج ، وألصقوا أبراجهم بسور طرابلس ، وشد
الأفرنج القتال على طرابلس من الأبراج فاقتحموا السور ، ودخلوا المدينة عنوة
يوم الاثنين ١١ ذى الحجة سنة ٥٠٣ هـ (٢٦ يونيو ١١٠٩ م) « ونهبوا
ما فيها وأسروا الرجال ، وسبوا النساء والأطفال ، ونهبوا الأموال ،
وغنموا من أهلها من الأموال والأمتعة وكتب دور العلم الموقوفة مالا يحد
ولا يحصى ، فان أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالا وتجارة » (٢) .

(١) ابن الأثير ج ١٠ ص ١٧١

(٢) ابن القلانسي ، ص ١٦٣ - ابن الأثير ج ١٠ ص ١٨٠

طرابلس اماره صليبية :

أصبحت طرابلس مركزا لامارة لاتينية تولاها بيت تولرز ، وكانت تضم جبيل وعرقه وطرطوس ، واستمرت هذه الامارة في خلفاء هذا البيت التولري الى أن خضعت لأمرأ أنطاكية ، ثم أعلنت جمهورية مستقلة تحت حماية جمهورية جنوة سنة ١٢٨٨ م .

وعلى الرغم من النكبات الحسام التي منيت بها مدينة طرابلس منذ أن استولى عليها الصليبيون سنة ١١٠٩ الى أن حررها المنصور قلاوون سنة ١٢٨٩ م (١) (أي سنة ١٨٠) فقد أعيد بناؤها من جديد في هذا العصر وأطلق عليها اسم Triple ، وأصبحت مركزاً أسقفيا لاتينيا ، وأقيمت فيها الكنائس والأديرة والمستشفيات ، وازدهرت من الناحية الاقتصادية ازدهارا لم تشهده من قبل ، فكانت تصدر الحرير والمنتجات الشرقية (٢) .

وتمت مدينة طرابلس الجديدة ، وامتدت أرباضها من البحر حتى جبل الحجاج حيث تقرم قلعة صنجيل ، التي استطاعت أن تصمد طويلا أمام جيوش صلاح الدين .

لقد حاول صلاح الدين الأيوبي أن يحرر سراحل الشام من الصليبيين وكان هؤلاء ينتهزون الفرص المواتية للايقاع بين المسلمين وبث بذور الفتنة بين أمرائهم حتى لا يتمكن هذا البطل من تحقيق هدفه ، وهو توحيد الشام ومصر في جهة اسلامية واحدة يمكنها أن تصمد أمام الصليبيين وتقضي على ملكهم (٣) . فعندما أراد صلاح الدين دخول حلب سنة ٥٧٠ هـ

(١) أصيبت طرابلس باضرار فادحة نتيجة لزوال عام ١١٥٨ م وهو الزلزال الذي أشار اليه أبو الفداء ، بأنه حدث في رجب سنة ٥٥٢ هـ (أنظر أبو الفداء ، المختصر ج ٣ ص ٣٢) وكذلك تعرضت لزوال آخر حدث سنة ١١٧٠ م أشار اليه بنيامين التطلي بقوله « حدث زلزال في طرابلس سبب موت عدد كبير من الناس واليهود اذ سقطت عليهم الدور والجدران » أنظر .

Viaje de Benjamin de Tudela, P. 67

(٢) تقرير بعثة اليونسكو الى لبنان ص ١٠ و Sobernheim, C. I. A. P. 43

(٣) جمال الدين الشيال : وحدة مصر وسورية في العصر الاسلامي ، الاسكندرية

١٩٥٨ ص ١٣

(١١٧٤ م) استنجد أمراء الجيش فيها بأعداء صلاح الدين ، وأولهم ملك طرابلس الصليبي الذي خرج من طرابلس الى حصص وحاول الاستيلاء عليها ليقطع طريق العردة على صلاح الدين وجيشه ، ولكنه فشل في خطته ، وسقطت حصص في أيدي المسلمين . وفي ٢٥ ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هـ (٤ يوليو ١١٨٧) حدثت أكبر موقعة في تاريخ الحروب الصليبية بين قوات صلاح الدين وبين جيوش الصليبيين مجتمعة ، موقعة حطين الشهيرة ، وفيها انهزم الصليبيون هزيمة نكراء ، وأسر صلاح الدين ملك بيت المقدس وصاحب الكرك وصاحب جبيل وصاحب تبنين ومقدم الداوية وأعوانه .

وفتح انتصار صلاح الدين في حطين الطريق أمامه للاستيلاء على مدن الساحل اللبناني والفلسطيني ، فقد تبع انتصار المسلمين في الموقعة المذكورة استيلائهم على طبرية وعكا ، وبذلك تمهد السبيل أمام الجيش الاسلامي لغزو المدن الساحلية من طرابلس شمالا حتى عسقلان وغزة والداروم ، لقد افتتح قيسارية بالسيف سنة ٥٨٣ هـ (١) ، وأتبعها بحيفا وأرسوف ونابلس ، كما افتتح حصن الفولة وحصن تبنين ، وتم فتح صيدا في ٢١ جمادى الأولى . ثم افتتحت بيروت في ٢٩ جمادى الأولى ، وتلتها جبيل في ٢٧ جمادى الأولى (٢)

ثم توج فتوحاته بفتح بيت المقدس بعد عسقلان فدخلها في ٢٧ رجب (٣) من نفس السنة . وهكذا استكمل صلاح الدين فتح بلاد الشام جميعا باستثناء صور وطرابلس والمرقب وأنطاكية ويعلل صالح بن يحيى ذلك بأن صور صعب أخذها « لاجتماع الفرنج وأما طرابلس فكان قد استولى عليها صاحب أنطاكية وكان من جهة السلطان ، وأما المرقب فلأنه كان حصنا منيعا لم يتعرض السلطان اليه » (٤)

(١) ابن الأثير ج ١١ ص ٢٢٠ - ٢٢١

(٢) عماد الدين الاصفهاني : كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي ، نشره كارلودي لاندبرج تحت عنوان Conquête de la Syrie et. de la Palestine ليدن ١٨٨٨ ص ٣٣ - ٤٣

(٣) ابن الأثير ج ١١ ص ٢٢٥ - ٢٣٦ - أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين طبعة مصر ١٢٨٨ ج ٢ ص ٨٧

(٤) صالح بن يحيى ، تاريخ بيروت ، نشره الأب لويس شيخو ، بيروت ١٨٩٨ ص ٣٦

أحدث سقرط بيت المقدس في أيدي المسلمين رد فعل شديد في أوروبا ، وكان ذلك هو السبب المباشر في قدوم الحملة الصليبية الثالثة ، التي اشترك فيها أعظم ملوك أوروبا المسيحية بأساً ، وهم فردريك بربروسه ملك ألمانيا ، وفيليب أغسطس ملك فرنسا ، وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا ، وكانت عكا مسرح أحداث هذه الحملة التي انتهت باسترداد الصليبيين لعكا في ١٧ جمادى الآخرة سنة ٥٨٧ هـ وعسقلان والرملة . وتم الصلح سنة ٥٨٧ هـ (١١٩٢) على أن يكرن الساحل من صور الى يافا في أيدي الأفرنج ، وأن يكون داخل البلاد في أيدي المسلمين ، بشرط أن يسمح للمسيحيين بالحج الى بيت المقدس ، وأن تضم طرابلس وأنطاكية للأفرنج .

ولما مات صلاح الدين في ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣م) تمزقت مملكته بين بنيه وأخوته ، واشتد النزاع بينهم وانتهز الصليبيون هذه الفرصة فاستولوا على صيدا ثم استولوا على بيروت سنة ٥٩٤ هـ (١) ، ثم سقطت جبيل في نفس هذا العام ، وسقطت تبين وبيت المقدس سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩م) وسقطت صغد سنة ٦٣٧ هـ (١٢٤٠م) وطبرية سنة ٦٤١ هـ (١٢٤٤م) أما طرابلس فقد كانت مركزاً لشن الغارات على الأراضي الإسلامية ، ففي ذي القعدة سنة ٦٠٠ هـ أغار فرنج طرابلس على جبله واللاذقية وكنوا لقوات المسلمين فقتلوا منهم عدداً كبيراً (٢) وحاول الملك العادل أن يحاصرها فلم ينل منها الا مهادنة صاحبها سنة ٦١٤ هـ (٣) .

* * *

أحدث سقوط بغداد في أيدي التتار في ١٠ محرم سنة ٦٥٦ هـ (١٢ فبراير سنة ١٢٥٨) دوياء هائلة في سائر أنحاء العالم الإسلامي . ونبه المسلمين في مصر والشام الى ضرورة التكتل وتوحيد الصفوف أمام خطر التتار المدمر ، ولذلك

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٦٠ ص ٧٤

(٢) نفس المرجع ص ١٦٦ - ١٦٧

(٣) نفس المرجع ص ١٧٥ - دائرة معارف البستان ، مادة طرابلس .

حرص سلاطين المماليك بعد انتصار المسلمين في عين جالوت في ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ هـ (٣ سبتمبر سنة ١٢٦٠م) على توحيد سورية بعد تحريرها من الصليبيين ، فلم ينس المماليك تقارب الصليبيين من التتار للقضاء على الاسلام ممثلا في قوة مصر المملوكية . ولذلك كان على سلاطين المماليك في مصر أن يتهجوا سبيل صلاح الدين الذي كان له الفضل الأعظم في اخراج الصليبيين من بيت المقدس . وذلك بالقضاء على اماراتهم الباقية في أنطاكية و طرابلس وعكا (١).

ويعتبر بيبرس بحق خليفة صلاح الدين في الجهاد ضد الصليبيين ، ففي ٦٦٣ هـ (١٢٦٥م) تمكن من الاستيلاء على قيسارية وعثليت و حيفا وأرسوف ، وفي ٦٦٤ هـ جهز عسكره الى ساحل طرابلس ، ففتح القليعات إوحلبا وعرقه ونزل على صفد وفتحها في ١٩ شعبان . ثم استولى على يافا في سنة ٦٦٦ هـ وشقيف أرنون في نفس هذا العام ، وترج فتوحاته في رمضان من هذا العام بالاستيلاء على أنطاكية أقدم دولة لاتينية في الشام ، وعاصمة أقوى الامارات الصليبية الباقية .

ثم هاجم قلاع الصليبيين ، سنة ٦٦٩ هـ فاستولى على مصياف وعكار وحصن الأكراد . وفي فتحه لعكار يقول محي الدين بن عبد الظاهر :

يامليك الأرض بشراك فقد نلت الارادة

ان عكار يقينا هر عكا وزيادة (٢)

وأدى استيلاء بيبرس على أنطاكية وحصن الأكراد الى اضعاف المراكز الدفاعية المتوزعة حول طرابلس نفسها ، وساعد على ذلك الفتن والخلافات الداخلية التي نشبت بعد وفاة بوهمند السابع كرننت طرابلس في شوال سنة ٦٨٦ هـ (نوفمبر ١٢٨٧م) ، تاركاً اماره طرابلس دون وريث

(١) سبيل عاشور ، مصر في عصر دولة المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٥١

(٢) أبو الفدا ، ج ٤ ص ٦

نلاحظ أن الظاهر بيبرس ناصف الفرنج أيضاً على المرقب وبلنياس وأنطربوس (أنظر صالح بن يحيى ص ٤١)

فورثته أخته لوسيا على طرابلس ، وبينما كان النزاع على أشده بين لوستا وبين بارتلميو امبراسيو (١) صاحب جبيل ، وقائد الحيلة في طرابلس ، بعد موت بوهمند ، بسبب عزلها له ، وكانت قوات المماليك بقيادة السلطان الملك المنصور قلاوون تحتاج إمارة طرابلس ، وتضرب الحصار على المدينة .

تحرير طرابلس على يدى قلاوون :

فى أول ربيع الآخر ٦٨٨ هـ (٢٦ أبريل سنة ١٢٨٩ م) دخلت قوات المماليك بقيادة السلطان قلاوون مدينة طرابلس بعد حصار دام ٣٨ يوماً . وتفصيل الفتح وفقاً لرواية أبى الفداء ، وكان يشهد هذا الحدث الكبير ، «أن السلطان الملك المنصور خرج بالعساكر المصرية فى المحرم من هذه السنة ، وصار إلى الشام . ثم سار بالعساكر المصرية الشامية ، ونازل مدينة طرابلس الشام يوم الجمعة مستهل ربيع الأول من هذه السنة ، ويحيط البحر بغالب هذه المدينة ، وليس عليها قتال فى البر إلا من جهة الشرق ، وهو مقدار قليل ، ولما نازلها السلطان نصب عليها عدة كثيرة من المجانيق الكبار والصغار ولازمها بالحصار واشتد عليها القتال حتى فتحها يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر من هذه السنة بالسيف ، ودخلها العسكر عنوة ، فهرب أهلها إلى الميناء ، فنجا أقلهم فى المراكب ، وقتل غالب رجالها ، وسبيت ذرارهم وغنم منهم المسلمون غنيمة عظيمة . وحصار طرابلس هو أيضاً مما شاهده ، وكنت حاضراً مع والدى الملك الأفضل وابن عمى الملك المظفر صاحب حماة ، ولما فرغ المسلمون من قتل أهل طرابلس ونهبهم ، أمر السلطان فهدمت ودكت إلى الأرض ، وكان فى البحر قريباً من طرابلس جزيرة وفيها كنيسة سنطاس ، وبينها وبين طرابلس الميناء ، فلما أخذت طرابلس ، هرب إلى الجزيرة المذكورة وإلى الكنيسة التى فيها عالم عظيم من الفرنج والنساء ، فاقتحم العسكر الاسلامى البحر ، وعبروا بنحيلهم سباحة إلى الجزيرة المذكورة

(١) يسميه أبو المحاسن سيرتلميه الفرنجى (النجوم الزاهرة ، طبعة القاهرة ١٩٣٨

ج ٧ ص ٣٢٠) .

فقتلوا جميع من فيها من الرجال ، وغنموا ما بها من النساء والصغار .
وهذه الجزيرة بعد فراغ الناس من النهب ، عبرت اليها في مركب ، فوجدتها
ملاى من القتلى بحيث لا يستطيع الانسان الوقوف فيها من تن القتلى .
ولما فرغ السلطان من فتح طرابلس وهدمها عاد الى الديار المصرية « (١)

وفي فتح طرابلس يقول الشاعر شهاب الدين أبو الثناء محمود يمدح
قلاوون :

نهضت الى عليا طرابلس التي أقل عناها أن خندقها البحر (٢)

كذلك مدحه الشاعر نجم الدين الحيمي بقصيدة جاء فيها :-

هنيئاً أيها الملك الهمام	بنصر لا ينال ولا يرام
نزلت على طرابلس بجيش	فدار لثغرها منه لثام
وكان الدوح نخيم في حماها	فزال ونخيمت فيها الخيام
ولو علموا بأخذ كها سريعا	لقاموا للفرار وما أقاموا
وظنوا أنهم فيها عظام	فهاهم في جوانبها عظام (٣)

هدم قلاوون مدينة طرابلس وخربها ، وعمد الى بناء مدينة أخرى
لطرابلس تقع بعيدا عن الساحل حتى يحى ذكرى المدينة الصليبية ، وحتى
تجنب المدينة الجديدة ما قد يصيبها من غارات الفرنجة ، الذين تكتلوا
بعد ذلك في عكا وقبرص . واختار لذلك الغرض الرض الراقع أدنى قلعة
صنجيل ، في موضع يقال له وادي الكنائس ، وأقام في موضع
المدينة المخربة عددا من الأبراج على طول الساحل الشرقي والشمالي من المينا .
وكانت الأبنية الجديدة تقام من بقايا أبنية المدينة المخربة ، وفي بناء مدينة

(١) أبو الفدا ، المختصر ج ٤ ص ٢٤

(٢) أبو المحاسن ج ٧ ص ٣٢٢

(٣) هذه القصيدة أوردها الشيخ كامل البابا في حديثه بمجلة الارشاد الاجتماعى العدد ٢٧ ،
نيسان سنة ١٩٦٢ ص ٨

طرابلس الجديدة يقول ابن تغري بردي « أما طرابلس القديمة ، كانت من أحسن المدن وأطيبها ، ثم بعد ذلك اتخذوا مكانا على ميل من البلدة ، وبنوه مدينة صغيرة بلاسور ، فجاء مكانا ردىء الهواء والمزاج من الوخم » (١).

وما زلنا نرى بقايا الأبنية الصليبية مستخدما من جديد فى العقود التى تعلو الدروب وفى عقد مدخل حمام عز الدين أيبك الموصلى وإلى طرابلس (٦٩٤ — ٦٩٨ هـ) ، وفى عقد المدخل إلى الجامع المنصوري الكبير ، وغير ذلك من آثار الكنائس كما سنوضحه فيما بعد عند دراستنا لآثار طرابلس فى العصر الاسلامى .

طرابلس فى ظل المماليك :

لما هدمت طرابلس ، استقر الحند بحصن الأكراد ، فلما عمرت المدينة المحاورة للنهر ، اختلفت إليها الأجناد ، وعمرها فيها الحمامات والقياسر والمساجد والمدارس ، وأجريت المياه فى دورها بقساكل ، وعمرت دار السلطنة لنزول نائب السلطنة لطرابلس ، وكانت هذه الدار تقع على مرتفع بالقرب من حصن صنجيل بحيث تشرف على المدينة (٢) .

وكان أول من تولى نيابة السلطنة فى طرابلس الأمير سيف الدين بلبان الطباخى المنصوري وظل فى منصبه إلى أن نقل إلى حلب فى دولة الأشرف خليل بن المنصور قلاوون سنة ٦٩١ هـ ، وخلفه فى النيابة الطرابلسية الأمير سيف الدين طغريل الايغاني وأقام بها أياما واستعفى ، فأعفاه الأشرف خليل ثم ولى نيابة طرابلس بعد ذلك الأمير عز الدين أيبك الخازندار المنصوري فظل بها حتى عزله عنها السلطان العادل زين الدين كتبغا المنصوري سنة ٦٩٤ هـ ، وفرض نيابتها إلى الأمير عز الدين أيبك الموصلى ، فولها حتى وفاته سنة ٦٩٨ هـ . ونلاحظ أن المسجد الجامع افتتح فى عهد الملك الأشرف خليل (٦٨٩ — ٦٩٣ هـ) فى ولاية عز الدين أيبك الخازندار وإلى الأمير سيف الدين استنمر ينسب عدد كبير من أبنية طرابلس فى عصر دولة المماليك

(١) أبو المحاسن ج ٧ ص ٣٢٢

(٢) أنظر نص التويرى الذى أورده سورنهام فى C. I. A ص ٤٦

البحرية فقد أسس حماما وقيسارية وطاحونا ومساكن للماليكة كما أعاد بناء جزء كبير من قلعة صنجيل، وشيد أبراجا بطرابلس (١). وبلغت طرابلس في منتصف القرن الثامن الهجري ذروة عظمتها وازدهارها العمراني ، واتسعت أعمالها حتى صارت أعظم من نيابة حماه . وهكذا تهتم سلاطين المماليك البحرية بتوسيع العمران في المدينة ، فشمروا برعايتهم وأولوها جانبا كبيرا من اهتمامهم وعنايتهم وجملوها بالمباني الفخمة التي ما تزال قائمة حتى يومنا هذا . وبالإضافة الى هذه الحركة العمرانية الزاهرة ، استعادت طرابلس رخاءها الاقتصادي ، فكثرت أسواقها ومرافقها ، واتسعت تجارتها ، وكثرت خاناتها التي تأوى التجار من سائر بلاد العالم بحيث أصبحت مدينة طرابلس في عصر المماليك صورة مصغرة لمدينة القاهرة ، من حيث كثرة المساجد والمدارس بقبابها ومآذنها وبواباتها ، ومن حيث نشاط سوقها الاقتصادي بسبب الصادرات والواردات . وقد لاحظ غرس الدين خليل الظاهري ذلك فقال : « وهي مدينة حسنة بها جوامع ومدارس وأسواق وحمامات وعمائر حسنة ، وهي على شاطئ البحر المحيط ، يقال انها شامية مصرية لحسن هيئتها » (٢) .

ونلاحظ أن أهم ما كانت تمتاز به طرابلس تجارة الحرير المصنوع فيها وفي بعض أعمالها مثل القدموس والكهف والخراي والعليقة ، وكذلك صناعة الصابون والمواد الكيميائية كالصودا والبرتاس . وما زال بطرابلس حتى اليوم خنانان يعرف أحدهما بخان الخياطين والآخر خان الصابون . ومن بين الرحالة المسلمين الذين وصفوها في هذا العصر ، الرحالة ابن بطرطة ، فقد زارها أيام الناصر محمد بن قلاوون ووصفها بقوله : « وهي إحدى قواعد الشام وبلدانها الضخام ، تحترقها الأنهار ، وتحفها البساتين والأشجار ويكتنفها البحر بمرافقه العميمة ، والبر بخيراته المقيمة ، ولها الأسواق العجيبة

(١) النص السابق ص ٤٧

(٢) غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك نشره بول رافيس ، باريس ١٨٩٤ ص ٤٨ .

والمسارح الحصينة ، والبحر على ميلين منها ، وهي حديثة البناء . وأما طرابلس القديمة ، فكانت على ضفة البحر ، وتملكها الروم زمانا ، فلما استرجعها الملك الظاهر (١) ، خربت ، واتخذت هذه الحديثة . وهذه المدينة نحو أربعين من أمراء الاتراك ، وأميرها طيلان الحاجب المعروف بملك الأمراء (٢) ، ومسكنه منه بالدار المعروفة بدار سعادة .. وهذه المدينة حمامات حسان منها : حمام القاضي القرى ، وحمام سندمور (٣) ، وكان سندمور أمير هذه المدينة ويذكر عنه أخبار كثيرة في الشدة على أهل الخنايات « (٤) .

وظلت طرابلس تحتفظ بمكانتها السامية من بين نيابات الشام ، حتى أصبحت منذ سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) ثالث نيابة سورية . وتعرضت سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م) لغارة قام بها بطرس دى لوزنيان صاحب قبرص ، فافتتحها وأحرقها ، ولكنه اضطر الى الجلاء عنها (٥) ، ثم أغار عليها لوزنيان مرة أخرى في يناير وسبتمبر سنة ١٣٦٧ م .

وفي عصر دولة المماليك الشراكسة حظيت طرابلس بعناية السلاطين ، فأمهروها بالأبنية الفخمة من مدارس ومساجد ، وعمل بعض السلاطين على إبطال المظالم المحدثه على أهل طرابلس ، كالمؤيد شيخ (سنة ٨١٧ هـ (١٤١٤ م) أو أبطلوا بعض الرسوم المفروضة على الأنوال وخراج الكروم ، كالظاهر جقمق سنة ٨٤٦ هـ (١٤٤٢ م) أو الغوا الرسوم المفروضة على مذهب طرابلس كالأشرف قايتباي سنة ٨٧٢ هـ .

(١) انرجعها المصور قلاوون لا الظاهر بپرس .

(٢) تحريف من طينال وهو الأمير سيف الدين طينال الأشرفى الناصرى الحاجب تولى نيابة طرابلس فى جمادى الآخرة سنة ٧٢٦ ثم نقل فى ربيع الأول سنة ٧٣٣ الى نيابة غزة ، ثم أعيد الى نيابة طرابلس سنة ٧٣٥ ، وعمر بظاهرها مسجداً ثم عزل فى محرم سنة ٧٤١ ثم عاد الى نيابة طرابلس زمن فتنة الناصر أحمد نظره بها الى صفر سنة ٧٤١ هـ وتوفى فى ربيع الأول .

(٣) نسبة الى الامير سيف الدين أسندمركرجى المنصورى الذى ذكرناه آنفا .

(٤) ابن بطوطة ، الرحلة طبعة دار صادر - بيروت ، بيروت ١٩٦٠ ص ٦٤-٦٥ .

(٥) دائرة معارف البستانى - مادة طرابلس .

واحتفظت طرابلس بازدهارها الاقتصادى فى القرن السادس عشر ،
ثم انحط هذا الاقتصاد بالتدريج بسبب سوء الادارة العثمانية ، وبسبب
الخلافات الداخلية بين الباشهرات الأتراك . ولم تلبث طرابلس أن تنازلت
عن مكانها الأولى لمدينة بيروت التى أصبحت العاصمة الفعلية للبلاد عقب
الاستقلال .

(ثانياً) آثار طرابلس الاسلامية

(١) المساجد :

١ - المسجد الكبير :

عندما زار الرحالة الفارسى ناصر خسرو مدينة طرابلس فى النصف
الأول من القرن الخامس الهجرى ، وصف مسجدها الجامع بقوله
« وفى وسط المدينة جامع عظيم نظيف ، جميل النقش حصين ، وفى ساحته
قبة كبيرة تحتها حوض من الرخام فى وسطه فواره من النحاس الأصفر» (١)
هذا الجامع لم يعد له وجود بطبيعة الحال لأن مدينة طرابلس التى وصفها ناصر
خسرو تهدمت تماماً سنة ٦٨٨ هـ بعد أن افتتحها المنصور قلاوون . أما الجامع
الكبير الحالى فقد أقيم بعد ذلك فى المدينة الجديدة ، على الضفة اليسرى
من نهر قاديشا (أبى على) ، وكان موضع هذا الجامع كنيسة أقيمت فى أوائل
القرن الثانى عشر الميلادى ، فى الوقت الذى كان فيه ريموندى سان جيل
يحاصر مدينة طرابلس العربية من حصنه الواقع على تل الحجاج . ولكن
هذه الكنيسة هدمت عقب زلزال سنة ١١٧٠ م ، أى سقطت أسرة تولوز
وقيام أسرة أنطاكية الايطالية بسنوات قليلة . وعمل الأمير بوهمند على ترميم
الكنيسة الفرنجية الحربية ، وقد ترك مهندسوه الايطاليون طابع بلادهم
على البرج اللومباردى القائم حالياً بأعلى المدخل الشمالى للجامع . ويبدو أن هذه
الكنيسة تأثرت بزلزال سنة ١٢٨٧ م الذى أحدث فيها أضراراً جسيمة ،

(١) ناصر خسرو ، سفرنامه ص ١٣

ثم تهدمت على أثر دخول جيوش المماليك الظافرة في مدينة طرابلس سنة ١٢٨٩ م ، وبقيت منها أجزاء استغلها مهندس الجامع في بنائه . ولانستبعد أن يكون المنصور قلاوون قد قنع ببناء بيت للصلاة في نطاق الكنيسة ، دون أن يهدم برجها اللومباردى ، أو جدرانها الخارجية ، أى أنه استغل الجدران القديمة وبابها الرئيسى وبرجها بعد أن انتزع منه النواقيس. غير أن ابنه وخليفته السلطان الملك الأشرف خليل حول البوابة القرطية الطراز ، التى تتوسط جدار الجامع الشمالى الى باب اسلامى الأسلوب (١) . والبوابة بصورتها الحالية على شكل عقد مدبب ، سنجاته يتناوب فيها اللونان الأبيض والأسود ، ويحتضن العقد صفان من دالات متصلة على شكل زجراج ويبرز أعلى هذين الصفين عن الآخر . وأغلب الظن أنهما اسلاميان ، وذلك لشيوع هذا النوع من الزخرفة في عمارة طرابلس الاسلامية . ويعلو الصف العلوى من هذين الصفين أفاريز منبعجة بارزة عددها ثلاثة تستند على أفريز أفقى يمتد على شكل رف ، تحت صفى الدالات من كلا جانبيهما ؛ ويقوم هذا الأفريز على عمودين صغيرين ، تاجاهما من الطراز القوطى (٢) .

هذا الاطار البارز ذو الطابع اللاتينى يحيط بباب اسلامى الطابع ، فان عقده المدبب يمتد جانباه الى أدنى البوابة بحيث يؤلفان عضادتي البوابة ، ويستمر تناوب اللونين الأسود والأبيض في صفوف أحجاره . أما عتبه وهو قطعة واحدة من الحجر فيستند على مسندين محدبين ، وطبلة العقد يكسوها ملاط خشن المظهر ، تتوسطه زخرفة نباتية من العصر العثمانى مكتوب تحتها عبارة « لا إله الا الله محمد رسول الله » .

(١) Sobernheim, op. cit. p. 51.

يحتمل أن تكون هذه البوابة قد حملت من الكنيسة القديمة ووضعت في مدخل المسجد كشاهد صدق على انتصار المسلمين ، كما فعل الأشرف خليل ببوابة كنيسة سان جان بعكا التى انتزعها من الكنيسة المذكورة وحملها الى القاهرة حيث نصبها أخوه الناصر محمد على بوابة مدرسته بالنحاسين

(٢) Sobernheim, op. cit. p. 51.

أما النقش التاريخي فمسجل على لوحة من الخشب ، مثبتة على عتب الباب ، مساحتها ٢٥٠ × ٣٩ سم ٢ . ويتألف النقش من ثلاثة أسطر من الخط النسخي ، يفصل بين كل منها شريط . ويرجع هذا النقش الكتابي بناء الجامع الى الأشرف خليل سنة ٦٩٣ هـ (١٢٩٤م) أى بعد سقوط طرابلس في يدى أبيه المنصور قلاوون بأربع سنوات (١) . ونقرأ فى هذا النقش النص التالى (بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك مولانا السلطان الأعظم ، سيد ملوك العرب والعجم ، فاتح الأمصار ، ومبيد الكفار ، الملك الأشرف ، صلاح الدنيا والدين خليل ، قسيم أمير المؤمنين ، ابن مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى خلد الله ملكه ، فى نيابة المقر العالى الأميرى الكبيرى العزى عز الدين أيبك الخزندار الأشرفى المنصورى نائب السلطنة بالفتوحات والسواحل المحروسة ، عفا الله عنه ، وذلك فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، والحمد لله وحده) (٢) وبأعلى العضادة اليسرى للباب ، وتحت نهاية النص السابق ، نقش تاريخي بالخط النسخي الصغير ، ومن نفس الأسلوب نصه : (تولا عمارة هذا الجامع المبارك العبد الفقير لله (٣) تعالى سالم الصهيونى ابن ناصر الدين العجمى عفا الله عنه) .

والجامع بناء اسلامي لا أثر فيه للتأثيرات المسيحية مما يدل على أنه بنى بناء جديداً وأنه لم يكن داخل كنيسة ، وتخطيط الجامع يتبع النظام القديم للمساجد الجامعة فيشتمل على ثلاث محببات تحيط بصحن مستطيل وعلى بيت للصلاة . وتعلو هذه المحببات قبوات متعارضة ، وتطل المحببات على الصحن بعقود منكسرة مثلثة الرؤوس تقوم على دعائم ضخمة مربعة القاعدة . وتتألف المحببة الشمالية من سبعة عقود ، أما كل من المحبتين الشرقية

(١) Max Van Berchem, et Edmond Fatio, Voyage en Syrie, dans, Mémoires de l'Institut français d'Archéologie orientale du Caire, t. XXXVII le Caire, 1914, p. 118.

(٢) أنظر : Sobernheim, op. cit. p. 52.

(٣) وردت فى نص سوبر نهيم « الى الله »

والغربية فمن خمسة عقود أكثر اتساعا من عقود المحنبة الشمالية . ومجنبات الصحن أقيمت في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٥ هـ (١٣١٥ م) في نيابة المقر السيفي كستاي الناصري . ، وعهد بأعمال البناء الى أحمد بن حسن البعلبكي . وقد سجل ذلك كله في لوحة مندمجة في الجدار الشمالي المطل على الصحن ، ونص الكتابة ما يلي : (بسم الله الرحمن الرحيم ، انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أمر بإنشاء هذه الروايات تكلمة الجامع المبارك مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد المظفر المنصور ناصر الدنيا والدين محمد ابن قلاوون نخلد الله ملكه في نيابة المقر الشريف العالي السيفي كستاي (١) الناصري كافل المملكة الشريفة الطرابلسية أعز الله أنصاره بإشارة المقر العالي البدرى محمد ابن أبي بكر شاد الدواوين المعمورة أدام الله نعمته . وكان الفراغ منه في شهر سنة خمس عشر وسبعمئة وصلى الله على سيدنا محمد . تولا عمارته العبد الفقير الى الله تعالى أحمد ابن حسن البعلبكي (٢) .

وواجهة بيت الصلاة تطل على الصحن بسبعة عقود أكثر اتساعا من عقود المحنبة الشمالية ويشتمل بيت الصلاة على بلاطين موازيين لجدار القبلة ، ينقسمان الى ١٤ أسطوان ، ويعلو كل أسطوان قبوة متعارضة فيما عدا أسطوان المحراب فتعلوه قبة على مقرنصات مقوسة . ويفصل البلاطين صف من الدعائم الضخمة عددها ستة ، ويستند العقد الأخير من الجهة الغربية على دعيمة ملتصقة بالجدار الغربى .

والى يمين المحراب منبر من الخشب يزدان بزخارف ملونة ، أقامه نائب طرابلس الأمير سيف الدين قرطاي بن عبد الله المنصورى المتوفى سنة ٧٣٤ هـ ويعلو مصراعى باب المنبر تحت صف المقرنصات الأعلى مباشرة نقش كتابى بالخط النسخى نصه (أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك

(١) سيف الدين كستاي تولى نيابة طرابلس من ٧١٥ الى ٧١٦ هـ

(٢) Sobernheim, op. cit. p. 53

العبد الفقير الى الله تعالى قرطاي بن عبد الله الناصري أثابه الله ، فأقام به من ماله بكتوان بن عبد الله الشهابي ، تقبل الله منه ، وذلك في شهر ذو القعدة سنة ستة وعشرين وسبعمية (١) .

والمظهر العام للجامع لا يدل على العناية بالبناء ، فجدران الجامع كلها مغطاه بطبقة بيضاء من الجير ، والمسجد كله عاطل من الزخرفة . ويتوسط الصحن بناء يتكرن من أسطوانين : الشمالي منهما تتوسطه نافورة للوضوء ، بأعلاها قبة . والجنوبي ينتهي بمحراب عليه لوحة رخامية نقش عليها النص التالي : (أمر بترخيم هذا المحراب المبارك العبد الفقير الى الله تعالى ، ازدمر الأشرفي ، كافل المملكة الشريفة الطرابلسية المحروسة أعز الله أنصاره في أيام مولانا وسيدنا قاضي القضاة الشافعي الامام في مستهل ربيع الآخرة سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة بمباشرة محمد الشاذ) (٢) .

ويعلو المدخل الجنوبي الشرقي للمسجد لوحة عليها النص الآتي : (الحمد لله رسم بالأمر العالي السلطاني الملكي المؤيدي أبي النصر شيخ أعلاه الله تعالى وشرفه وأنقذه وصرفه بإبطال المظالم المحدثات على أهل طرابلس من التحجير على قوت العباد من القمح واللحم والخبز والطرح وغير ذلك بحث لا يعود ، ويبطل ذلك جميعه في هذه الأيام الزاهرة ، خلد الله سلطانها ، وأدام قدرته على المسلمين بتاريخ خامس عشر شهر ربيع الأول سنة سبعة عشر وثمانمائة والحمد لله) (٣) .

وعلى عتب العقد نصف الدائري بالباب الشرقي للمسجد المؤدى الى الصحن نقش كتابي نصه (برسم الدخان ومايستأديه من يكون متكلماً في ديوان الحجوية الكبرى واستادارية الديوان الديوان الشريف من سكر وخل وغير ذلك (٤) وباعفاؤها من ذلك جميعه ومن طرح الصابون والزيت

(١) أنظر : Sobernheim, op. cit. p.55

(٢) نفس المرجع ص ٥٧

(٣) نفس المرجع ص ٥٦

(٤) خطأ في الكتابة

والبلس ومن جميع ما يحدث من ديوان النيابة والديوان الشريف وغيرها من جميع الكلف والمخادم الجارية بها العادة قديما والحادثة مستقبلا ومنع خازن دار الكافلي من التعرض الى ذلك ، وأخذ شىء منه ، واستقرارها في حماية سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على حكم المربع الشريف وأن ينقش ذلك في رخام جامع الكبير بطرابلس بأمر الكافلي المشار اليه بالمملكة الشريفة ، وأن يسطر ذلك بتاريخ ثاني شهر الله الحرام سنت (١) ثمان وتسعمائة والحمد لله (٢) .

٢ - مسجد عبد الواحد المكناسي :

يعتبر من أقدم مساجد طرابلس في عصر دولة المماليك البحرية ، وهو مسجد صغير يقع خلف سوق الصاغة بناه الشيخ عبد الواحد المكناسي أحد الأولياء الذين نزلوا مدينة طرابلس بعد أن حررها قلاوون من الصليبيين وكان مشهورا بالفضل والتقوى والزهد ، ويتميز هذا المسجد ببساطته التامة . وعقود بيت الصلاة فيه تقوم على دعائم ضخمة مربعة الشكل وهي أقرب الى عقود مساجد المغرب الاسلامي منها الى عقود مساجد سورية . ويتوسط صحن الجامع نافرة صغيرة يحيط بها حوض نقش بأعلاه النص الآتي : (أنشأ هذا المكان المبارك العبد الفقير الى الله تعالى عبد الواحد المكناسي غفر الله له ولوالديه ولمن كان السبب فيه ، وذلك في تاريخ سنة خمس وسبعمائة) (٣) .

ويحيط بصحن المسجد ثلاث مجنبات تعلوها أسقف مائلة من الآجر على نحو النظام الشائع في مساجد المغرب ، وتستند هذه الأسقف على أعمدة وأوتار من الخشب . وقبة المسجد مضلعة من الخارج ، وترتكز على رقبة من طابقين ، الأدنى منهما تنفتح فيه أربع نوافذ معقودة ، والأعلى مزود بثمان نوافذ . أما من الداخل فالقبة مفصصة من ١٦ فصاً ، وترتكز هذه

(١) خطأ في الكتابة

(٢) Sobernheim, op. cit p. 59.

(٣) Sobernheim, op. cit. p. 85

الحوذة المفصصة على طابق مشمن في أركانه الثمانية جرفات مثلثة مزدانة بمقرنصات ، والطابق الأدنى مربع في أركانه جوفات مقوسة . وتذكرنا هذه القبة بصفة عامة بالقباب التونسية القديمة .

أما المئذنة فطابعها يختلف عن بقية مآذن طرابلس ، إذ تتكون من ساق مشمنة الشكل تنتهي من أعلى بقبة نصف كروية ، وينفتح في جدران المئذنة من أعلى ثمان نوافذ .

٣ - مسجد الأمير طينال :

يطلق عليه حالياً مسجد الأمير طيلان (١) ، وهو تحريف ظاهر من اسم طينال . ويعتبر هذا المسجد أهم مساجد طرابلس وأجملها على الإطلاق بعد المسجد الكبير ، وتذكرنا زخارفه وعناصره المعمارية بمساجد القاهرة أكثر مما تذكرنا بآثار دمشق . ويقع هذا الجامع بظاهر مدينة طرابلس ، قريباً من باب طيلان . وكان هذا المسجد في الأصل كنيسة كرملية من عصر الصليبيين ، هجرت طويلاً بعد أن استولى قلاوون على مدينة طرابلس سنة ٦٨٨ هـ ، ثم استخدمها الأمير سيف الدين طينال الأشرفي الناصري نائب طرابلس في إقامة هذا المسجد سنة ٧٣٦ هـ . وتاريخ انشاء هذا المسجد مسجل في النقش الكتابي الذي يعلو باب المسجد ونصه (بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك المقر الأشرفي العالي المولوى الأميرى الناصري نائب السلطنة الشريفة بطرابلس المحروسة اتماما ، في أيام الملك الناصر في شهر رجب سنة ست وثلاثين وسبعائة) (٢) .

وهناك نقش كتابي آخر بالقرب من النقش السابق ، عبارة عن وقفية سجل فيها اسم نائب السلطنة ثم حدود الوقفية .

(١) وقع ابن بطوطة في نفس هذا الخطأ إذ سمي الأمير باسم طيلان الحاجب بدلا من طينال .

(٢) Sobernheim, op. cit. p. 87

والمسجد يتألف من قسمين منفصلين ، الشمالى منهما بيت للصلاة ،
يشتمل على ثلاثة بلاطات الأوسط ، أفسح من البلاطين الجانبيين ، وينقسم
هذا البلاط الأوسط الى اسطوانين تعلوهما قبتان .

أما القسم الجنوبي من المسجد فضريح دفن فيه طينال يشتمل على تسعة
أساطين ، ويتوسط هذا الضريح قبة كبرى تقوم على رقبة مثمثة ، ويكتنف
الضريح شرقا سلم وفى الجزء الشمالى قاعة جنازية تحتوى على قبرين (١) .

ونلاحظ أن بالمسجد عمودين مركزيين يقوم عليهما عقدان من النوع
الرابط الشائع فى العمائر القوطية ، ويغلب على الظن أن هذين العمودين
وتاجيهما من الكنيسة القديمة ، ويعتقد الأستاذ فان برشم أنه لو صح
ذلك أى أنه لو ثبت انتماء هذه الآثار الى الكنيسة لحاز تحديد الرواق الأوسط
والرواقين الجانبيين لها ، وعندئذ تكون رأس الكنيسة مكان الضريح (٢)
أما الأستاذ بروس كندى فيرى أن هذين العمودين والعمودين الآخرين
الذين تقوم عليهما القبة الجنوبية بالمسجد ، كانت مركز الكنيسة الكرملية القديمة
لأن مجاز هذه الكنيسة كان يتجه من الشرق الى الغرب أى بعكس اتجاه البلاط
الأوسط فى المسجد ، كما يرى احتمال كون الأسطوان الذى تعلوه القبة
الشمالية بالمسجد جزءا من الرواق الشمالى للكنيسة ، بينما يرجح تهديم المهندس
للرواق الجنوبي تمكينا لاقامة البوابة الفبخمة المؤدية الى ضريح سيف الدين
طينال (٣) .

أما هذه البوابة الملتصقة بقاعدة القبة القبلىة بالمسجد ، والمؤدية الى
ضريح طينال ، فتعتبر من أجمل البوابات المملوكية ، وهى عبارة عن قطاع
مستطيل الشكل مجوف ينتهى من أعلى بعقد منكسر ، ويشغل ركنى القطاع
مقرنصان ينتهيان من أعلى — بعد أربع حطات متراكبة — بجوفة نصف كروية
يحيط بها العقد المذكور . وتزدان واجهة البوابة بزخرفة تقوم على تناوب

(١) Van Berchem, op. cit. p. 120

(٢) Ibid. P. 120

(٣) Bruce Condé, op. cit. p. 48

مداميك الحجارة البيضاء مع المداميك السوداء ، ويحيط البوابة من أعلى ومن الجانبين إفريز من الدالات المتصلة على شكل زجراج .

والمئذنة مربعة الشكل ، تزدان جراتها بعقود صماء ذات وسائل، وتتمتاز هذه المئذنة بوجود درج مزدوج في الداخل (١) ، أحدهما يؤدي إلى خارج المسجد والآخر يفضي إلى الداخل . وتنتهي المئذنة من أعلى بشرفة بارزة عن الجدار تفتح في كل وجه منها نافذة مستطيلة الشكل ، ويعلى الشرفة جوسق مستدير ويعتقد بعض الأثريين أن هذه المئذنة كانت في الأصل برج الأجراس التابع للكنيسة الكرملية (٢) ، ومجموع القباب التي يضمها المسجد والضريح أربعة ، أصغرها قبة المحراب ، وهي قبة صغيرة متعددة الفصوص (٢٤ فصا) تقوم على قاعدة مربعة [في أركانها جوفات مقوسة تؤلف حطة أولى من المقرنصات ، وتعلو هذه الجوفات حطة ثانية ثم تعلوها بدورها حطة ثالثة من المقرنصات المسطحة على شكل عقود متصلة يتخللها نوافذ . وللضريح منبر بأعلاه لوحة من الخشب نقش عليها بالخط النسخي النص الآتي : (بسم الله الرحمن الرحيم ، انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ، تكمل هذه منبر في شهر ذي القعدة سنة ست وثلاثين وسبعماية (٣) . وفي أدنى المنبر بأعلى الباب سطر من الكتابة النسخية نصه (عمل المعلم محمد الصفدي رحم الله من ترحم عليه) .

٤ - مسجد العطار :

يقع هذا المسجد في قلب مدينة طرابلس على الضفة اليسرى من نهر قاديشا ، بالقرب من خان المصريين وخان الخياطين في شارع سوق الصاغة أهم شوارع المدينة . ويعتبر هذا المسجد ثالث مساجد طرابلس أهمية ، أسسه أحد العطارين الأثرياء سنة ٧٥١ هـ على نفقته الخاصة ولذلك نسب إليه ،

(١) محمد كرد على ، خطط الشام ، ج ٦ ، دمشق ١٩٢٨ ص ٥٣

(٢) Bruce Condé, op. cit. p. 50

(٣) Sobernheim, op. cit. p. 93.

وجعل له أربع صفوف ، « كل صفة لها مدرس له معلوم يتناوله من وقف الجامع » (١) . وتاريخ انشاء هذا الجامع مسجل بأعلى عتب المدخل في لوحة نصها : (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا الباب المبارك والمنبر عمل المعلم محمد ابن ابراهيم المهندس سنة أحد وخمسين وسبعمائة) (٢) .

وبوابة هذا المسجد تشبه في زخارفها بوابة المدرسة القرطائية المجاورة للجامع الكبير ، فهي عبارة عن قطاع مفرغ مستطيل الشكل تعلوه حنية نصف كروية قائمة على أربع حطات من المقرنصات الشائعة في مباني الماليك . ويتوسط الواجهة فيما بين عتب الباب والمقرنصات تربيعة الفسيفساء في وسطها جامة تحتشد حولها تكوينات هندسية من فروع متقاطعة ومجدولة تتخللها زهرة الزنبق . وعتب الباب مؤلف من سنجات على شكل زهرة الزنبق ، يتناوب فيها اللونان الأبيض والأسود ، على مثال سنجات سائر الآثار المملوكية بطرابلس . أما المئذنة فتعتبر من أفخم مآذن طرابلس في عصر الماليك ، فهي برج مربع الشكل يدور حوله عند منتصفه افريز أفقى بارز ومسطح ، وتنتهى المئذنة من أعلى بشرفة مكعبة الشكل بارزة عن بناء برج المئذنة ، وترتكز هذه الشرفة على صف من المقرنصات الحميلة ، القائمة على أربعة أعمدة في الأركان ، تيجانها من النوع الاسلامي المقرنص . ويتوسط كل وجه من وجوه الشرفة العليا نافذة توأمية يقرم عقداها على عمود مركزي مشترك . ويتوج هذا الطابق جوسق مشمن الشكل يكتنفه في الأركان الاربعة قبيبات زخرفية جميلة . وينتهى الجوسق من أعلاه بغطاء مخروطي .

وعلى الجدار الواقع يمين فتحة الباب نقش ، مسجل فيه مرسوم ، أصدره السلطان المرثيد شيخ سنة ٨٢١ هـ .

٥ - مسجد الدباغين :

هو مسجد صغير يقع على الضفة اليسرى من نهر قاديشا بجوار الحسار الحديد ، ويتميز هذا المسجد بمئذنته المثلثة التي تنتهى من أعلى بالطابق المربع

(١) عبد الغنى النابلسي ، الرحلة الطرابلسية ، عن سوبرنهايم ص ١٠٤

(٢) Sobernheim, op. cit. p. 105

البارز ، وبقبته المضلعة . ويعلو مدخل هذا المسجد لوحتان من الحجر عليهما نقش كتابي عبارة عن مرسوم صادر من السلطان قايتباي في ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٨٨٢ هـ (١٤٤٧ م) عند زيارته لطارابلس قادما من بعلبك ، يأمر فيه بإبطال المكوس المفروضة على جماعة الدباغين (١) . ولقد جدد هذا المسجد سنة ٩١٢ هـ في عهد السلطان قانصوه الغوري ، جددته شيخ الدباغين بطرابلس

٦ - زاوية أرغون شاه :

يطلق عليها أهل طرابلس زاوية الغنشا ، ويقع قريبا من المدرسة السقرقية والحاتونية في الطرف الغربي من طرابلس . ولا نعرف تاريخ بناء هذا المسجد على وجه التحديد ، ولكن أسلوب البناء يدل على أنه أقيم قرب نهاية دولة المماليك الشراكسة ، أي في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي . ونلاحظ في مثدنة هذا المسجد بدء ظهور التأثيرات المعمارية التركية ، فهي مثدنة أسطوانية الشكل تنتهي في أعلاها بست حطات من المفرنصات تحمل شرفة ذات عشرة ضلوع تزدان بزخارف هندسية وتوريقات رائعة : وتختلف كل حشرة عن غيرها في هذه الضلوع العشرة للشرفة . وعلى مدخل هذا المسجد نقش كتابي يتضمن مرسوما صادرا من السلطان قايتباي في ١٥ جمادى الآخرة سنة ٨٨٠ هـ (١١ أكتوبر سنة ١٤٧٥ م) في نيابة أزدمر الأشرفي ، يأمر فيه بحماية زراع أراضي الوقف للمسجد المذكور وتسليمها الى السيد نور الدين الأدهمي الحسيني . وقد جدد بناء هذا المسجد بعد أن تهدم الجانب الجنوبي منه ، ولكن هذا التجديد لم يمس الواجهة الشرقية على الإطلاق .

٧ - مسجد الأويسنة :

يقع بالقرب من مسجد عبد الواحد المكناسي ، بناه عبد الحى الأويسنة سنة ٨٦٥ هـ ويتميز هذا المسجد بقبته الوسطى الكبرى التي تمهد لظهور

(١) ارجع الى نص هذا النقش في كتاب Sobernheim, op. cit. p. 131

القباب التركية .. وقد جددت مثذنة هذا المسجد في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني سنة ٩٤١ هـ (١) .

(ب) المدارس :

١ - المدرسة القرطائية :

يحيط بالمسجد الجامع المنصوري عدد من المدارس المملوكية لا يقل عددها عن ست مدارس أهمها وأجملها المدرسة القرطائية ، أما الخمسة الأخرى فمجموعة حول البوابة الشمالية للجامع المذكور باستثناء المدرسة النورية التي تقع على مسافة قصيرة شرقي المسجد .

وتعتبر المدرسة القرطائية أهم آثار طرابلس الإسلامية على الإطلاق ، وتقع لصق الجامع الكبير من الجهة الجنوبية الشرقية . وينسب بناؤها الى الأمير سيف الدين قرطاي بن عبد الله الناصري الذي أقام منبر الجامع الكبير سنة ٧٢٦ هـ ، على الرغم من اختفاء الكتابة التاريخية التي كانت محفورة على جدارها القبلي (٢) .

وينكر الأستاذ سوبر نهيم وجود آثار لهذه المدرسة في الوقت الحاضر فيقول « L'école qu'il y a fondée n'existe plus » (٣) ويسمى البناء القائم لصق الجدار الشرقي للجامع المنصوري بالمدرسة الشمسية (٤) ، ويخلط بين هذه المدرسة والمدرسة القرطائية ، اذ ينسب الى المدرسة الشمسية المنشورات والمراسيم السلطانية المنقوشة على الجدار القبلي للمدرسة القرطائية .

(١) الى جانب المساجد المذكورة يوجد عدد كبير من المساجد التي أقيمت في أواخر عصر دولة المماليك الشراكسة وأهمها مسجد التوبة الذي أقيم في هذا العصر وجدد في عهد السلطان العثماني أحمد الأول سنة ١٠٢١ هـ ، ويمتاز بقبته المفصصة ، ومنها مسجد الطام الذي أقيم على ما يظهر في أوائل القرن العاشر الهجري ، وتاريخ بنائه غير معروف على وجه الدقة ، ومنها المسجد المعلق الذي أقيم في عصر السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٧

(٢) محمد كرد علي خطط الشام ج ٦ ص ١٢٨

(٣) Sobernheim, op. cit p. 55

(٤) نفس المرجع ص ٦١ - ٦٢

والواقع أن المدرسة المسماة بالشمسية هي التي تقع الى يسار الداخل الى المسجد الكبير ، وتعتبر من ملحقات هذا الجامع ، وإن كانت قد أقيمت ضريحاً لمنشئها شمس الدين المولوى ، سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٩ م) تقريباً ، ولهذه المدرسة منظره تطل على المدخل الى الجامع المنصوري الكبير ، يعلوها عقد ذو وسائل متصلة ، وقد رأينا مثل هذا العقد في مثدنة جامع سيف الدين طينال بطرابلس ، وفي مصر نماذج من هذه العقود نراها ممثلة في أحد عقود بوابة الفتوح بالقاهرة وفي عقد مدخل مسجد الظاهر بيبرس وفي عقد مدخل خانقاه بيبرس الحاشنكير وفي نافذة مثدنة سنجر الجاولي كما نجدتها أيضا في أحد العقود المنسوبة إلى الظاهر بيبرس بقلعة صيدا البحرية ، وهناك من الأثرين من يرجع هذا النوع من العقود الى الصليبيين (١)، وهو افتراء واضح .

ومدخل هذه المدرسة الشمسية سد بالبناء واتخذت فيها مخازن ومرافق أخرى ، ولم يتبق من واجهتها سوى النافذة المعقودة ذات الوسائل التي تحدثنا عنها .

ونعود مرة ثانية الى الحديث عن المدرسة القرطائية ، وبوابتها تعتبر من أروع أمثلة البرابات المملوكية ، اذ تنطق خطوطها بما تتميز به من جمال ودقة لا نظير لها ، فهي حلقة متصلة متزنة الأجزاء ، وتعتبر عن ايقاع وتوازن . ويتوسط عتب الباب لوحة عليها نقش كتابي نصه (بسم الله الرحمن الرحيم ، ان المتقين في جنات وعيون ، أدخلوها بسلام آمنين ، ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) (٢) .

ويعلو هذا الباب عقد مخفف للضغط تتعاشق فيه سنجات من الرخام سوداء وبيضاء على التعاقب . ويعلو هذا العقد تربيعة من الفسيفساء تتوسطها جامة سوداء تخرج منها أشربة أربعة مجدولة ، تمتد حول التربيعة . ثم يعلو ذلك ثلاثة طوابق من المقرنصات ، تنتهى من أعلى بجوفة نصف كروية عقدها

(١) تقرير بعثة اليونسكو الى لبنان ص ١٥ ، Bruce Condé op, cit. p. 34,49

(٢) لم يرد هذا النص بين النصوص التي نشرها سوهرنهام في كتابه عن نقوش طرابلس .

منكسر ، يحيط بها عقد بارز يدور به صفان من دالات متصلة على شكل زجاج . وعلى جانبي المدخل عمودان يعتقد الأستاذ بروس كندى أنهما من النوع الافرنجى (١) ، وينفتح في الجدار الشمالى للمدرسة نوافذ ، تكسوها زخارف متشابكة . أما محراب المدرسة فينطق بوضوح عن الفكرة الزخرفية والهندسية التى طبقها المهندس ، اذ يعبر عن تناسق تام فى تكرين العناصر الزخرفية بما يحتويه من فسيفساء ملونة . ويكسو النصف الأدنى من جدار المحراب وزرات من الرخام الملون ، وأرضية المدرسة من الفسيفساء الملون تؤلف تكوينات هندسية رائعة تشبه الى حد كبير الفسيفساء التى تكسو صحن جامع السلطان حسن بالقاهرة وغيره من المساجد والمدارس المملوكية .

وتنقسم المدرسة من حيث التصميم الى قسمين : الرواق الشمالى وأرضيته أقل ارتفاعا من أرضية المصلى . ويتوسط هذا الرواق الشمالى حوض مربع ، يقابل مدخل المدرسة ، بداخله نافورة . ويحيط بالحوض قناة تجرى فيها المياه الحارية من الحوض ، وبأعلى هذا الحوض قبة . أما الرواق الآخر فتعلاه أمام المحراب قبة قائمة على مقرنصات مثلثة ، وتنفتح في الجدار القبلى أربع نوافذ مشبكة ، عتب كل منها من الخارج يحتوى على ثلاث لوحات ، تحتشد فيها زخارف هندسية بارزة بروزا طفيفا ، ويعلو الأعتاب عقود مخففة للضغط سنجاتها متعاشقة سوداء وبيضاء على التعاقب . وطبقات هذه العقود تزخر بالكتابات القرآنية . وتتصل المدرسة القرطائية بالجامع الكبير عن طريق قنطرة سقفها معقود بقبوات متعارضة ، ويعلو مدخل الباب المؤدى للجامع نافذتان مرتفعتان وظيفتهما ادخال الضوء الى الطريق الضيق الواقع خلف المدرسة . ويزدان الجدار القبلى للمدرسة بمراسيم سلطانية محفورة فى لوحات مرصعة فى الجدران ، أولها نقش كتابى يقع بين النافذة الأولى والثانية من هذا الجدار . وهو عبارة عن مرسوم أصدره الأشرف برسباى فى مستهل رمضان سنة ٨٢٦ هـ يأمر فيه بإبطال المكوس الخاصة بنخيل البريد . والمنشور الثانى منقوش على لوح حجري يرصع جدار بيت حديث البناء ، قبالة مدخل

(١) Bruce Condé, op. cit. p. 38.

الجامع من الجهة الشرقية ، وهو مرسوم صادر من ديوان الحيوش بتاريخ
مستهل شعبان ٨٥١ هـ ، بإبطال الضرائب المفروضة على الثياب والدخان .
وهناك غير هذين النقشين نقوش أخرى كثيرة يكتظ بها الجدار القبلي
للمدرسة القرطائية ، نشرها الأستاذ سوبرنهايم (١) .

٢ - المدارس المحيطة بالجامع :

ذكرنا فيما سبق أنه يحيط بالجامع المنصوري ست مدارس ، وقد تحدثنا
عن مدرستين احدهما القرطائية والثانية الشمسية . والمدرسة الثالثة تقع
الى يمين الداخل الى الجامع المنصوري من جهة الشمال ، وهي مدرسة
مجهولة الاسم ولكن أسلوب بنائها يبين أنها من مدارس عصر دولة
المماليك الشراكسة وواجهة المدخل عبارة عن قطاع فسيح مجوف على شكل
مستطيل ينتهى من أعلى بجوفة مقرسة مكسرة بالفسيفساء الرخامية الملونة ،
وتزدان بزخرفة هندسية أساسها نجمة ذات عشرة رؤوس ، تتشعب من رؤوسها
خطوط متقاطعة فيما بينها ، وهذه الزخرفة تشبه الجوفات التى تعلو محاريب
المساجد المملوكية . وتقوم هذه الزخرفة على مقرنصات غاية فى الروعة
والجمال ، ويعلو البوابة افريز أفقى من دالات متصلة على شكل زجراج
بارز يحيط بها من أعلى ، ثم يدور على جانبي البوابة الى أن يصل الى الأرض .
ويسود الواجهة مظهر زخرفى بسيط ناشئ من تناوب المداميك السوداء
مع المداميك البيضاء (٢) .

ومن بين المدارس الثلاثة الأخرى المحيطة بالجامع الكبير مدرستان
تقعان قبالة الباب الشمالى للجامع المنصوري على الصنف الأيسر من الطريق ،
الشرقية منهما هي المدرسة الناصرية ، وهي مدرسة صغيرة نسبياً ، وبوابتها
قطاع مستطيل مفرغ فى الجدار ، ينتهى من أعلى بجوفة مقوسة نصف كروية
عاطلة من الزخرفة ، تقوم على صف من المقرنصات ، تحته دائرة مستديرة

(١) Sobernheim, op. cit p. 62-69

(٢) Bruce Condé, op. cit. p. 44.

بداخلها نقش كتابي نصه (عز لمولانا السلطان الملك الناصر) ، وتزدان الواجهة
بافريز بارز من الدالات المتصلة كما تزدان بالمداميك الملونة وتاريخ بناء
هذه المدرسة يتراوح بين عامي ٦٩٣ و ٧٤١ هـ (١٢٩٣ - ١٣٤٠ م) .

أما المدرسة المجاورة لها من الغرب فهي المعروفة بمدرسة الخيرية حسن ،
وقد أخطأ سوبرنهايم في تحديد موقعها على خريطته (١) . ويرجع تاريخ
بنائها الى أوائل القرن الثامن الهجري (بعد سنة ٧٠٩ هـ) . وبوابتها عبارة عن
قطاع مستطيل الشكل مجوف ، ينتهي من أعلى بعقد منكسر يتناوب في
سنجاته المتعاشقة اللون الأبيض والأسود . ويحيط بالبوابة من أعلى ومن
الجانبين حتى مستوى الأرض افريز من الزخرفة على شكل مقرنصات
مسطحة متصلة ، ويتوسط كل من الجدار الأيمن والأيسر للبوابة نافذتان ،
عقداهما نصف دائريان ، يتناوب في سنجاتهما اللونان التقليديان الأبيض والأسود
ويتوسط البوابة ، بين العقد والباب ، لوحة مربعة مسجلة عليها وقفية نصها
(بسم الله الرحمن الرحيم ، وقفت جهة المرحوم قطلو المصينة والمعصرة
والربع فرق المعصرة ، وخمس قراريط وربع بطاحون الداودية والسندمرية ،
بأرض كفر قاهل ، والبستان ظاهر طرابلس وثلاث قراريط ونصف بسوق
أسندمر ، وثلاث الدير يعرف بأرض أصرن ، ومسكبة زيتون والقاعة
والبحرة والطبقة جوار المدرسة ونصف طاحون الحديدية بعردات ، وكرم
زيتون في بطرام ، وطبقة ومخزن بقيسارية الأفرنج) (٢) .

أما المدرسة السادسة من مجموعة مدارس الجامع فهي المدرسة النورية ،
وتقع شرق المدرسة الناصرية على الناصية الأخرى من الشارع المؤدى الى
السوق الرئيسي بطرابلس ، أسسها نائب طرابلس الأمير نور الدين سنة ٧٣٣ هـ
وبوابة هذه المدرسة من أجمل بوابات المدارس المملوكية في طرابلس .

(١) Sobernheim, op. cit. p. 37.

(٢) نفس المرجع ص ١٣٦

٣ - المدرسة البرطاسية :

تقع على الضفة اليسرى من نهر قاديشا بالقرب من الحسر العتيق ، واسم منشئ هذه المدرسة مسجل على شريط من الكتابة النسخية يقطع واجهة المدرسة أفقياً ، على ارتفاع ثلاثة أمتار ونصف . ويمتد هذا الشريط في مدامك قائم بذاته من يمين القطاع المخوف للبوابة إلى يساره . ونقرأ في هذا الشريط النص الآتي : (بسم الله الرحمن الرحيم ، أوقف هذه المدرسة المباركة العبد الفقير إلى الله تعالى عيسى بن عمر البرطاسي عفا الله عنه ، على المشتغلين بالعلم الشريف على مذهب الامام الشافعي ، واقامة الجمع والصلوات المكتوبة ، وشرط أن لا يرسم فيها على أحد ولا يسكنه من لا له (الحق في ذلك) (١) . وأما تاريخ الانشاء فلم يرد ذكره ، ويظهر من أسلوب بنائها وزخارفها أنها أقيمت في أواخر عصر دولة المماليك البحرية .

وأهم ما تتميز به هذه المدرسة واجهتها المبنية بحجارة داكنة اللون ، والخرفة العليا القائمة على المقرنصات والتي تعد من أجمل ما أبدعه الفنانون في عصر المماليك . ونلاحظ التشابه الكبير بين هذه الواجهة وواجهة المدرسة القرطائية . ويعلو العتب أربع حشوات من الزخرفة الهندسية القائمة على الخطوط المتقاطعة في زوايا قائمة . ويبدو أن المدرسة كانت قد تعرضت لأضرار جسيمة بسبب سيل جارف حدث سنة ١٩٥٥ . وطغى على طابقتها الثاني وقد قامت ادارة الآثار اللبنانية بترميمها تحت اشراف الأمير موريس شهاب . وتمتاز المدرسة بقبابها الثلاثة نصف الكروية ، وأهمها القبة الوسطى القائمة على جوفات مثلثة تغطيها ست حطّات من المقرنصات . ويغلب على الظن أن هذه القبة أضيفت في أواخر عصر دولة المماليك الشراكسة لشبهها الكبير بالقباب العثمانية . ومحراب المدرسة يعتبر أجمل محاريب المدارس المملوكية في لبنان على الاطلاق ، اذ تكسوه فسيفساء مذهبة قائمة على تكوينات زخرفية من العناصر النباتية والهندسية ذات لون فيروزي على أرضية مذهبة (٢) والمندنة مربعة الشكل شأنها في ذلك شأن المآذن الطرابلسية التي ترجع الى عصر

(١) نفس المرجع ص ١٣٨

(٢) Bruce Condé, op. cit p. 124

الماليك . وتزدان واجهتها الغربية بنافذة توأمية ذات عقدتين متجاوزين منكسرين عند الرأس ، يستند جانبيهما المشترك على منكب قائم على عمود صغير ، وتتناوب في هذين العقدتين السنجات البيضاء والسوداء ، ويذكرنا هذان العقدان بالعقود الحلافية بقرطبة وطليطلة . ويحيط بالعقدتين إطار مستطيل يحصر النافذة في نطاق غائر : ويغلب على الظن أن مهندس هذه المئذنة أندلسي الأصل ، هاجر من مسقط رأسه الى طرابلس وساهم في بناء آثارها ، وسجل أصله الأندلسي المغربي على زخرفة هذين العقدتين التوأمين ، اذ جمع فيهما بين التقاليد الأموية الأندلسية الشائعة في الأندلس وهي العقود المتجاوزة والتي تشبه حدود الفرس والتي تتناوب فيها السنجات الملونة ، وبين التقاليد المغربية الشائعة في الطراز الموحدى ، وقوامها العقود المتجاوزة المنكسرة والنوافذ التوعمية التي تحيط بها طرر مستطيلة غائرة في البناء . والواقع أن عصر الماليك هو العصر الذى تسربت فيه التأثيرات الأندلسية الى مصر والشام ذلك لأنه العصر الذى توثقت فيه عرى الصداقة بين دولة الماليك في مصر ودول أسبانيا المسيحية ، على أثر انتصار الماليك على التتار في عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ ، وانتصار الاشرف خليل على بقايا الصليبيين في الشام وطرده لهم منها الى قبرص ورودس ، وقد أكسب هذان الانتصاران سلاطين مصر هبة دول أوروبا واسبانيا بالذات ، وهنا بدأت علاقات الصداقة بين مصر وأسبانيا تعمل عملها ، فقد تبادلت الدولتان السفارات والرسائل الودية والهدايا السنية . كذلك كانت العلاقة طيبة بين ملوك بنى الأحمر بغرناطة وسلاطين مصر ، وكان من نتائج ذلك أن زار بلاد الشام ومصر عدد كبير من أهل غرناطة سواء للتعلم أو للتدريس ، وقد أقام فيها من طابت له الإقامة ، ومن أمثال هؤلاء عبد الواحد المكناسي الذى أقام مسجدا بطرابلس ، وسيدى أحمد بن عمر أبو العباس المرسى نزيل الاسكندرية وغيرهما . وكان لهذه العلاقات أثرها الكبير في نفاذ التأثيرات الأندلسية في العمارة المصرية والشامية في عصر الماليك (١) . وسنرى في طرابلس تأثيرا أندلسيا ثالثا في المدرسة المعروفة بالطريشية .

(١) أنظر مقال : بعض التأثيرات الأندلسية في العمارة المصرية الاسلامية ، المجلة العدد ١٢ ، ديسمبر ١٩٥٧ ، ص ٨٨ - ٩٩ وكتابي : المآذن المصرية ، نظرة عامة عن أصلها وتطورها القاهرة ١٩٥٩ ص ٢٩ - ٣١

٤ — المدرسة الزريقية :

تقع على الضفة اليمنى من نهر قاديشا ، وتعتبر أقدم مدارس طرابلس
اذ أنشأها الأمير عز الدين أيك الموصلى لتكون مسجدا سنة ٦٩٧ هـ
(١٢٩٨ م) ، وتاريخ الانشاء مسجل على لوحة في جدار المدرسة الواقع
على يمين المدخل ونصه (بسم الله الرحمن الرحيم ، أنشأ هذا المسجد
المبارك ، الفقير الى الله أيك الموصلى . عفا الله عنه في تاريخ عشرين جمادى
الآخر سنة سبع وتسعين وستمائة) . وأيك (١) المذكور تولى نيابة طرابلس
من ٦٩٤ هـ الى تاريخ وفاته سنة ٦٩٨ هـ . ثم أضيف الى هذا المسجد مصلى
صغير المساحة سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٨ م) وسجل هذا الانشاء على طيلة عقد
المدخل بأعلى عتب الباب مباشرة ونصه (بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء
هذه الزاوية المباركة العبد الفقير الى الله تعالى سيف الدين كرتاي السيفى ،
وذلك في تاريخ شهر شوال سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة) ونلاحظ أن عتب
الباب يزدان بثلاث حشرات مكسوة بتكوينات هندسية ، والحشرة الوسطى
أصغر من الحشرتين الأخرتين وبوابة المدرسة الزريقية قطاع مستطيل مجوف
ينتهى من أعلى بجوقة نصف كروية قائمة على مقرنين مثلثين ، وعقد البوابة
يندمج منبتاه في مداмик عضادتي البوابة ، وهى عاطلة تماما من الزخرفة
باستثناء زخرفة عتب الباب . ويزعم الأستاذ بروس كندى أن هذه البوابة
صليبية الطراز (٢) .

٥ — المدرسة السقرية :

وتقع في طرف المدينة الجنوبي الغربى ، بالقرب من مسجد أرغون شاه
بناها الأمير سيف الدين أقطرق ، حاجب نيابة طرابلس لتكون مسجدا
وضريحا وذلك سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٩ م) . وتاريخ انشاء المدرسة مسجل على
جدار واجهتها الجنوبية الشرقية في شريط يمتد على كل من جانبي البوابة

(١) Sobernheim, op. cit. p. 83

(٢) Bruce Condé, op. cit. p. 118

ويتضمن هذا الشريط الكتاني تاريخ البناء ، والعقارات الموقوفة عليها ، ونلاحظ أنه يتوسط كل زوج من نوافذ الواجهة تحت صف الكتابة مباشرة رنك المنشيء وهو عبارة عن دائرة يتوسطها حزام أفقى بداخله سيف يتجه من أعلى الجانب الأيسر الى أدنى الجانب الأيمن . وتكسر عتبات النوافذ زخارف هندسية من النوع الشائع فى العصر التركى . ويعلم الضريح قبة مضلعة غاية فى الجمال ، تفرم على رقبة مثمثة قائمة بدورها على قاعة مربعة فى أركانها جوفات مقوسة مزينة بزخارف نباتية قوامها المراوح النخيلية ، ويتدلى تحت كل جوفة مقرنصات من ثلاث حطات .

٦ — المدرسة الخاتونية :

تقع وجهها 'وجه أمام المدرسة السقرقية ، بنها أرغون خاتون بالاشتراك مع زوجها عز الدين أيدير الأشرفى نائب طرابلس سنة ٧٧٥ هـ . وتاريخ انشاء هذه المدرسة وأسماء العقارات الموقوفة وشروط السيدة الواقعة مسجلة جميعاً بأعلى المدخل ، ونص النقش ما يلى : (بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد أنشأ هذا المكان المبارك مرلانا المقر الأشرفى العالى المولوى المخدم الكافى العزى أيدير الأشرفى ملك الأمراء أعز الله أنصاره فى شركة آدره الكريمة الجهة ، المصونة ، أرغون تغمدنا الله برحمته حسب وصيتها المتقدمة ..) ويلى ذلك الرقبة وتاريخها ٢٣ شعبان سنة ٧٧٣ هـ ثم اسم متولى البناء الأمير جمال الدين يوسف ابن العزى غزان السيفى ، ثم تاريخ الفراغ من البناء سنة ٧٧٥ هـ (١) . وعز الدين أيدير المذكور هو أيدير بن عبد الله الأنوكى الدوادار نائب طرابلس فيما بين ٧٧٣ هـ ، ٧٧٦ هـ . وعلى الرغم من تآكل كسوة جدران المدرسة فإننا نشاهد رنك الكأس على جانبي عتب النافذة .

٧ — المدرسة الظاهرية :

هى مدرسة صغيرة بباب الحديد جنوب غربى المدرسة البرطاسية ، وسميت بالظاهرية لأن الذى بناها هو الأمير سيف الدين تغرى برمش

(١) Sobernheim, op. cit. p. 116

الظاهرى بن أحمد البهنسى التركمانى الأمير أنحور الكبير فى عهد السلطان
الظاهر برقوق ، لدفن ولديه سنة ٧٩٩ هـ (١٣٩٦ م) . ومدخل المدرسة
مسدود اليوم ، ولكن الواجهة بكتابتها النسخية مازال ظاهرة . وتاريخ
انشاء المدرسة مسجل على عتب المدخل فى خمسة أسطر من الكتابة النسخية
ونص الكتابة ما يلى : (بسم الله الرحمن الرحيم ، المال والبنون زينة الحياة
الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا . قوله الحق
وله الملك . عمر هذا المكان المبارك المقر السيفى تغرى برمش الظاهرى
أعز الله أنصاره مسجدا لله تعالى وتربة لدفن ولديه الأخوين الشقيقين
السعيدين الشهيدى الأمير قانتمر وسيدى أمير تغرى بردى الطفلين
المنغصين (١) على الدنيا ، المتحابين فى دار الدنيا ، والمجاور (٢) والمجاورين
فى دار الآخرة تغمدهما الله برحمته ، وأسكنهما فسيح جنته ، وجمع بينهما وبين
والديهما فى دار كرامة ، وذلك فى ثالث شهر الله المحرم سنة تسع وتسعين وسبعمائة .
رحم الله من ترحم عليهما) (٣) ونلاحظ فى أول السطر الخامس نقش
يمثل رنك الساقى وهو عبارة عن صورة كأسين محفورين فى ثلثى الرنك .

وبالمدرسة محراب ، الجزء الأدنى من جوفته مغطى بأشرطة رأسية
من الرخام الملون بينما تكسو الحنية العليا زخرفة من الفسيفساء قوامها الفروع
المتداخلة .

ويمكننا أن نمرّ فيها اللون الأحمر والأبيض والفيروزى والأسود ويقوم
عقد المحراب على عمودين ، يزدان بدناهما بقنوات معصورة .

٨ — المدرسة الطويشمية :

تقع بالقرب من منطقة الجامع الكبير ، وتشتمل على ضريح مؤسسها
الأمير سيف الدين الطويشى المتوفى سنة ٨٧٥ هـ (١٤٧١ م) . وتتماز هذه
لمدرسة بظاهرتين :

(١) قرأها سوبرنهايم « المتعصين » .

(٢) كلمة زائدة لم يكملها الخطاط لانهاء السطر فأعاد كتابتها فى السطر الجديد .

(٣) Sobernheim, op. cit. p. 122.

١ — البوابة الرائعة التي تعرض مثالا من أروع أمثلة المقرنصات المملوكية ، وبأعلاها جرفه نصف كروية على شكل محارة تحتشد فيها زخرفة مشعة في أربع مجموعات . وعقد البوابة من النوع المفصص بفصوص نصف دائرية وأخرى مثلثة صغيرة على التعاقب ، على النحو الذي نشاهده في العقود الأندلسية المغربية في عصر الموحدين ، مما يجعلنا نرجح تسلسل بعض التأثيرات المغربية الأندلسية الى عمائر الماليك في بلاد الشام .

ويحيط بالبوابة اطار بارز على شكل مستطيل يتوج أعلى العقد ، ثم يمتد طرفاه أفقيا بطول جدار الواجهة يمينا ويسارا .

٢ — النافذة ذات العقد المزدوج بالطابق الثاني (على يسار الواجهة) ، فعقدا هذه النافذة مفصصان ينتهيان من أعلى بجوفتين نصف كرويتين تكسوها زخرفة على شكل محارة ، ويحيط بهما اطار مستطيل الشكل . ويرتكز العقدان من الجانبين على عمودين بهما قنوات معصورة ويذكرنا العقدان بالعقود الأندلسية .

أما قبة الضريح فهي مفصصة (متعددة الفصوص) ، يتناوب في محيط قاعدتها الفصوص نصف الدائرية والفصوص المثلثة .

٩ — المدرسة العجمية :

تقع بالقرب من قلعة صنجيل ، أسسها هي والتربة الملحق بها الحاج شمس الدين محمد السكر في رمضان سنة ٧٦٦ هـ . واسم هذا الرجل نراه مسجلا على منبر بمدينة دمياط سنة ٧٧١ هـ . وتاريخ المدرسة العجمية مسجل على عتب مدخلها ، ونصه : (أمر بإنشاء هذه التربة المباركة العبد الفقير الى الله تعالى محمد السكر عفا الله عنه . وكان الفراغ منها في مستهل رمضان سنة ست وستين وسبعائة) .

وهناك مدارس أخرى عديدة بعضها مجهول الاسم والتاريخ والبعض متخرب والبعض الآخر من عصر متأخرة . من أمثال هذه المدارس : المدرسة القادرية ، والمدرسة الرفاعية ، والمدرسة العمرية ، ومدرسة الشيخ الوطار .. الخ . ويمكننا أن نضيف الى هذه المدارس خاتمة من عصر دولة المماليك الشراكسة يرجع تاريخ بنائها الى سنة ١٤٦٧ .

(ج) العمان الحربية :

عندما استولى السلطان المنصور قلاوون على طرابلس المينا ، هدم أسوارها المنيعة ، وسوى المدينة بالأرض ، ونقل موضع طرابلس الى المحلة اللاتينية المسورة ، التي تبتدى من جامع التوبة قرب جسر اللحامة ، وتضم سوق حراج والملاحة وسوق النازكان وسوق الصاغة وسوق العطارين ثم ساحة الجامع الكبير بمدارسه ، ومحلة قبوة الطرطوس تجاه بوابة الحدادين (١) .

وكان يحيط بهذه المحلة سور من بناء الصليبيين يمتد محيطه من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى ، بامتداد نهر أبي على وكان ينفتح فيه أبواب منها باب بيروت والباب الأحمر فى الجنوب الغربى من المدينة وباب المسلح بجوار الحسرة العتيق ويبدو أن سور هذه المحلة أصيب بأجزاء جسيمة أو تهدم بتأثير الزلازل وحصار القزاة الإسلامية ، لأن ابن تغزى بردى يؤكد أن مدينة طرابلس التي أقامها قلاوون كانت بلا سور (٢) ، ولعل قلاوون اكتفى بقلعة صنجيل وبالأبراج القائمة على المينا للدفاع عن المدينة . ويذكر الشيخ كامل البابا أنه لم يتبق من سور طرابلس وأبوابها الا بقايا باب المسلح فى سوق الحراج (٣) وأهم آثار طرابلس الحربية الباقية ، القلعة المعروفة بقلعة صنجيل وأربع أبراج على المينا .

(١) الشيخ كامل البابا ، من آثار التاريخ الطرابلس ، حديث مجلة الارشاد الاجتماعى ص ٨

(٢) ابن تغزى بردى ح ٧ ص ٣٢٢

(٣) الشيخ كامل البابا ، المرجع السابق ص ٩

١ - قلعة صنجيل :

تقع بأعلى تل الحجاج ، حيث تشرف على طرابلس المملوكية الممتدة على نهر أبي على وطرابلس المينا في آن واحد . وهو مرقع رائع اختاره ريموند دى سان جيل لاقامة قاعدته العسكرية التي يشن منها هجرمه المتراصل على طرابلس المينا ، أو ليحاصر منها مدينة بنى عمار . وفي هذا المكان أقام حصنا تتحصن فيه قواته المعسكرة على التل ، وسخر سان جيل في بنائها الأسرى المسلمين من أهل البلاد وكان من بينهم الشاعر الفارس سعدى الشيرازى . وفي سنة ١١٠٩ م تمكن خلفه برتران دى تولوز من التغلب على طرابلس بفضل مساعدة الأسطول الجنوى بقيادة أمير البحر وليم امبراسير ومساهمة فرق صليبية من مملكة بيت المقدس .

وعندما سقطت طرابلس في أيدي المماليك سنة ١٢٨٩ م اكتسحها سيل من التخريب والتدمير ، فلم يبق من قلعة سان جيل سوى أسسها القديمة وبوابتها الداخلية والأنصاف السفلى من معظم سورها الشرقى المطل على نهر أبي على ، بأبراجه ، وبقايا الكنيسة الصليبية فيها . وأصبحت القلعة مجرد خرائب وجدران دارسة . فلما شيدت مدينة طرابلس الجديدة في المحلة اللاتينية ، لم يكن في برنامج نواب السلطنة بطرابلس اقامة سور حرها اكتفاء ببقايا السور القديم ولوقوع طرابلس الجديدة بعيدة عن الغزو البحرى أدنى قلعة صنجيل ، وهنا أصبح من الضرورى ترميم القلعة التعسة واعادة بنائها حتى تكون حصنا يحمى المدينة من جهة الجنوب فى الوقت الذى تركزت فيه بقايا القوى الصليبية فى رودس وقبرص وأصبحت ترثف خطراً متواصلاً يهدد سواحل الشام ومصر .

ويبدو أن مهمة تجديد بناء القلعة أقيمت على عاتق الأمير سيف الدين اسندمر كرجى المنصورى نائب السلطنة بطرابلس فيها بين عامى ٧٠٠ ، ٧٠٩ هـ (١٣٠١ - ١٣٠٩ م) فقد ذكر النويرى أنه عمر بين

ما عمره بطرابلس « بعض القلعة ، وأقام أبراجا » (١) واليه تنسب بوابة القلعة الحالية بعقدتها الذي يتناوب في سنجاته اللونان الأسود والأبيض على التعاقب ، كما ينسب اليه كثير من أسوارها وأبراجها وممراتها (٢) .

والمدخل على شكل مرفق يصل الى باب ثان ، يعلوه لوحة مسجل عليها بالخط النسخي منشور عسكري صادر من السلطان الأشرف شعبان بن الناصر محمد بتاريخ ٧٤٦ هـ يتضمن بيانا بالمراتبة الحربية . ويبدو أن جانبا كبيرا من القلعة قد تخرب في عصر دولة المماليك الشراكسة ، فرمت سنة ٩٢٧ هـ (١٥٢١ م) بأمر السلطان سليمان القانوني بعد زيارته للشام ، ثم عمرت بعض أجزاء منها بعد ذلك بقرن في عهد يوسف باشا سيفها .

وبناء القلعة خليط من أساليب مختلفة منها الصليبي ومنها المملوكي ومنها العثماني ، على أن الأجزاء الإسلامية يمكن تمييزها بسهولة عن الأجزاء المسيحية ، ونلاحظ أن أغلب أبراج الحانب الشرقي يرجع الى عصر الصليبيين وما زالت الحفائر تجرى بأرض القلعة لدراسة نظام بنائها دراسة علمية منظمة .

٢ - أبراج المينا :

رأى نواب السلطنة بطرابلس في عصر دولة المماليك البحرية ضرورة تحصين ميناء طرابلس وذلك باقامة أبراج ممتدة على ساحل شبه جزيرة المينا ، لتأليف خط دفاعي قوى أمام أى اعتداء صليبي موجه من جزيرتي قبرص ورودرس اللتين أصبحتا قاعدة للاستتارية والدأوية بعد تحرير الشام من بقايا الصليبيين في عصر السلطان الأشرف خليل ، فان تحرير الشام نهائياً من الصليبيين لم يكن يعنى أن الفكرة الصليبية نفسها قد وئدت ، وأن منطقة الشرق الأدنى لم تعد ميدانا لحرب صليبية جديدة ، فقد ظلت فكرة الحروب الصليبية نحو قرن من الزمان بعد سقوط عكا آخر معقل صليبي في الشام ، اذ أن البابوية ودعاتها لم ترض بالنهاية المؤلمة التي انتهت اليها الحروب

(١) نص النويرى عن سورنهايم ص ٤٧

(٢) Bruce Condé, op. cit. p. 22

الصليبية ، واعتبرت دولة المماليك في مصر والشام السبب المباشر للكوارث التي لحقت بالصليبيين ، فحاولت البابوية أن تتدخل دينيا لدى الدول الأوروبية لقطع كل علاقاتها التجارية مع دولة المماليك في مصر حتى تقضى بذلك على أهم مواردها المالية ، فحرمت بيع أى شئ للعرب قابل لأن يكون أداة لتسليح المسلمين ، كالخشب ، والحديد ، وهما مادتان لازمتان لصناعة السفن وآلات الحرب (١) غير أن هذه المحاولات لم تلبث أن باءت بالفشل لأن الدول والجمهوريات الأوروبية التي كانت تتعامل مع مصر لم تكن تستطيع الاستغناء عن حاصلات الشرق التي تأتي عن طريق واحد هو طريق دولة المماليك . ولم يكن هناك غير سبيل واحد هو الاغارة على شواطئ مصر والشام ، والترصد في البحر للسفن التجارية الاسلامية . وشهد القرن الرابع عشر عدة إغارات عنيفة قامت بها الأساطيل الصليبية على موانئ مصر والشام (٢) .

وكان تحصين ميناء طرابلس الذي خربته عساكر قلاوون وسوت مبانیه بالأرض يعنى إنشاء مراكز دفاعية على الميناء على أبعاد متفاوتة ، ولم تكن هذه المراكز تعدو أبراجاً حصينة مزودة بالجنود والسلاح وآلات الحرب ، ولا نعرف على وجه الدقة تاريخ إنشاء هذه الأبراج ، وكل ما نعرفه في هذا السبيل أن طرابلس زودت بسبعة أبراج لم يبق منها في الوقت الحاضر سوى آثار أربعة فقط . ويمكننا مع ذلك تحديد مواقع هذه الابراج السبعة على خريطة لطرابلس ، فقد كانت تمتد من مصب نهر أبي على شرقاً إلى رأس شبه جزيرة المينا غرباً . هذه الابراج هي كما يلي : برج الشيخ عفان وبرج السباع وبرج رأس النهر وبرج المغاربة وبرج السراية وبرج المشتى وبرج أبي العدس ، ولم يبق من هذه الابراج السبعة سوى أبراج السباع ورأس النهر والشيخ عفان والسراية .

(١) Heyd, Histoire du Commerce du Levant, t. II, Leipzig, 1885, p. 23-30

(٢) أنظر سعيد عاشور ، قبرص والحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٥٤ نفس المؤلف ، مصر في عصر دولة المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٦٨ - ٧٥ كتابي عن تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، الاسكندرية ١٩٦١ ص ٨٥

(١) برج السباع :

هو أهم هذه الأبراج جميعاً ، لأنه ما يزال يحتفظ بصورته الأولى ، كما أنه يعتبر من أجمل الأبنية الحربية التي وصلت إلينا ، ويقع بين برج السراية وبرج رأس النهر . وقد اختلف المؤرخون في تاريخ بنائه ، فكان برشم يميل إلى جعل هذا التاريخ في حدود سنة ١٤٠٠ م (٨٠٢ هـ) ، لأن عمارته وزخرفته يجمعان بين الحصانة والوثاقة التي تتجلى في عمائر أسرة قلاوون ، وبين الرشاقة والأناقة التي تنعكس على آثار قايتباي ، وينسب بناء هذا البرج إلى الأمير أيدهش نجاشي أحد ضباط الظاهر برقوق . ويعتمد فان برشم فيما ذهب إليه على نص لأبي المحاسن في المنهل وآخر للسخاوي في الضوء ، فالأول يقول : « وعمر بطرابلس برجا على ساحل البحر الملح لأجل المرابطين ووضع فيه جملة مستكثرة من السلاح ، ووقف عليه أوقافا » والثاني يقول : « وهو صاحب البرج الذي بطرابلس على ساحل البحر » (١).

ويرجح سوفاجيه نسبة برج السباع إلى السلطان قايتباي لشبهه الكبير بقاعة استقبال السلطان قايتباي بأعلى قلعة حلب (سنة ١٤٧٥ م) (٢) . ويرى بروس كندى أن هذا البرج أقيم في أواخر القرن الثالث عشر أو بداية الرابع عشر الميلادي ، ثم جدد في أواخر القرن الخامس عشر في أيام قايتباي لمواجهة أي غزو قد يقوم به العثمانيون (٣).

ويضيف الشيخ كامل البابا ، مؤرخ طرابلس الكبير ، أن هذا البرج بني فيما بين عامي ١٤٤١ و ١٤٤٢ م في عهد الأمير جليان نائب طرابلس ، وأنه وقف على مصالحه وعماراته والمرابطين في البرج خمسة قرى منها : نصف قرية علما ونصف قرية كفرفو التابعة اليوم لزغرتا ، ونصف قرية بينو ، ونصف قرية الحصين من قضاء العلويين اليوم ، ونصف قرية القطين (٤).

(١) Van Berchem, op. cit. p. 122-124

(٢) J. Sauvaget, Notes sur les defenses de la marine de Tripoli, dans Bulletin de la musée de Beyrouth, Paris, Decembre 1938

(٣) Bruce Condé, op. cit. p. 137.

(٤) الشيخ كامل البابا ، من آثار التاريخ الطرابلس ، ص ٩

أما رأينا فيختلف عن هذه لآراء جميعا (باستثناء رأى كندى) فنعتقد من أسلوب بناء هذا البرج كما سنصفه فيما بعد ، أنه أقيم لأول مرة في طليعة القرن الرابع عشر الميلادي ، ويؤيد ذلك التشابه الكبير بين بوابة البرج بعقدتها وسنجاتها التي يتعاقب فيها اللونان الأبيض والأسود ، وبين بوابة قلعة صنجيل من جهة ، وبوابة مدرسة الخيرية حسن من جهة ثانية . وقد ذكرنا فيما سبق أن بوابة قلعة صنجيل أقيمت سنة ٧٠٦ هـ (١٣٠٧ م) وأن الذي أمر ببنائها هو الأمير اسندمر كرجي نائب طرابلس ، أما مدرسة الخيرية حسن ، فأقيمت هي الأخرى في نفس هذا العام . كذلك نعتمد على نص ذكره سوبرنهايم نقلا عن النويري جاء فيه « فوضت نيابة السلطنة الى الأمير سيف الدين اسندمر كرجي المنصوري ، فاستمر بها «أى طرابلس» الى سنة تسع وسبعمائة ، وعمر بها حماما عظيما أجمع التجار ممن يجوب البلاد أنه ماعمر مثله في بلد من البلدان ، وعمر قيسارية وطاحونا .. وعمر أيضا بعض القلعة ، وأقام أبراجا » (١) .

كل ذلك يشير اشارة واضحة الى أن برج السباع من بناء اسندمر ، وليس من المعقول أن تظل منطقة المينا بطرابلس بدون أبراج دفاعية حتى عصر قايتباي .

وننتقل الآن الى وصف البرج : فهو عبارة عن بناء ضخم مكعب الشكل على أساس مستطيل ٢٨,٥٠ × ٢٠,٥٠ م ، مبني من الأحجار المسنمة بطريقة منسقة ، ويندمج في سمك البناء أبدان من الأعمدة تظهر على سطح الجدران الخارجية بارزة بروزا طفيفا . ومدخل البرج في الواجهة الغربية ، ونلاحظ أن البوابة بعقدتها ومدخلها تبرز قليلا عن بقية جدار الواجهة (٢) ، وتتميز البوابة بعقدتها المنكسر الذي يتناوب في سنجاته اللونان الأبيض والأسود . ويمتد تناوب الألوان في عضادتي العقد ثم يستمر في داخل القطاع المستطيل المحفور للبوابة حتى فتحة الباب ، ويدور

(١) نص نويري عن سوبرنهايم ص ٤٧

(٢) Sauvaget, op. cit. p. 4

حول السنجات الملونة افريز بارز ، يلتقى مع الطرة المستطيلة العليا عند منبى العقد . ويعلو الاطار المستطيل فوق رأسى العقد مباشرة جوفة مستطيلة يبدو أنها كانت تحدد موضع اللوحة الانشائية : وقد ضاعت هذه اللوحة فى الوقت الحاضر . ويعلو الباب عتب كبير عبارة عن لوحة واحدة سميكة من الحجر يعلوها عقد مخفف للضغط سنجاته متعاشقة .

وهناك ظاهرة نلاحظها فى هذا البرج كما نلاحظها فى أبراج قلعة صنجيل وهى ميل الجدران فى الجزء الأدنى من السور نحو الخارج ميلا واضحا ، وهذا الميل وظيفة نفعية فهو يدفع الأحجار المتساقطة من أعلى الشرفات البارزة فى عنف نحو الأعداء . ويعلو بوابة البرج قرب سور الممشى كوابيل كانت تدعم شرفات بارزة عددها خمسة . ومدخل البرج يؤدى الى قاعة واسعة يعلوها ست قبوات متعارضة ، تتكىء فى الوسط على دعيمتين مركزيتين تقعان فى نفس محور المدخل (١) ، ثم تتكىء فى الجوانب على دعائم ملتصقة بالجدران . وسقف القاعة قليل الارتفاع ، ونلاحظ أن جدار المدخل مزود على جانبي الباب بفتحتين صغيرتين . احدهما تنهى بمنفذين للسهم ، الأيمن منحرف والأيسر معتدل ، والفتحة الثانية تؤدى الى منفذ واحد للسهم ، وجدار الفتحة القبلى محفور عليه شكل محراب . ونلاحظ أن الجدار الشمالى به أربع منافذ للسهم ، والجدار الشرقى به أربعة والجدار الجنوبى به ستة .

ويتوسط القاعة بين الدعيمتين فوهة بئر تتجمع فيه مياه الأمطار التى تصل اليه من السقف عن طريق قنوات فخارية بداخل البناء . وكانت هذه القاعة تزدان فيما مضى بـحلية ملونة ، فان الافريز البارز الممتد ما بين الباب والدعيمة المقابلة له ، ما زال يحتفظ فى سنجاته بتناوب اللونين الأبيض والأسود . وعلى الجدار القبلى للقاعة رنك مملوكى بين زخارف هندسية وهو رنك الكأس ، وعلى الجدار الغربى الذى ينفتح فيه الباب خمسة رنوك تمثل الكأس بعضها مرسوم باللون الأسود والبعض بألوان أخرى .

Ibid. (١)

أما الدرج فيدور في سمك جدار الواجهة الغربية ، ويؤدي الى الطابق العلوى ، ويذكرنا هذا البرج بالطريقة المتبعة في سورية . ويتألف الطابق العلوى من قاعة أكثر تعقيدا من القاعة السفلية ، فهي فسيحة واسعة ، تنفتح في جدرانها ثمان جوفات عميقة تعلوها قبوات نصف أسطوانية . وللبرج مسجد صغير به محراب ونافذتين ومنور علوى ، وخزانة لحفظ المصاحف .

وبرج السباع يعتبر من أهم الآثار الاسلامية بطرابلس ، وأجمل مثال لفن العمارة الحربية ، بما يتضمنه من عناصر معمارية وزخرفية متنوعة وموزعة جميعا في ايقاع وتصميم متناسق .

٢ - برج الشيخ عفان :

يلي برج السباع من ناحية الغرب ، وقد جدد هذا البرج تجديد شوه معالمة الأثرية .

٣ - برج السراية (أو الديوان) بالينا :

أدمج هذا البرج في مجموعة أبنية حكومية خاصة بالدرك اللبناني ، الا أن هذه الأبنية نسفت في حوادث ثورة ١٩٥٨ (١) ، فعاد البرج الى الظهور من جديد . وهو برج مربع الشكل يدعم جدرانه أبدان أعمدة مندوجة في داخل البناء على النحو الذى شاهدناه في برج السباع . ولم يتبق من هذا البرج سوى الطابق الأدنى ، وقاعته الداخلية تعلوها قبوات متعارضة تقوم على دعائم ملتصقة في الجدران .

٤ - برج رأس النهر :

يقع على بعد ١٢٠٠ م شرقى برج السباع بالقرب من مصب نهر أبي على وهذا البرج أصغر حجما من برج السباع وأقل ارتفاعا منه ، اذ يتألف من طابق واحد ، وهو على شكل مربع طول ضلعه ١٦ م . ويختلف هذا البرج في بنائه عن الأبراج الأخرى الواقعة على الساحل اللبناني ، اذ يقوم في

(١) Bruce Condé, op. cit. p. 143

أركانها الأربعة ركائز اسطوانية مندمجة في البناء أشبه بأبراج صغيرة ملصقة بزوايا البرج الكبير ، على نحو ما نشاهده في قلعة حصن الأكراد وبالذات في قلعة قايتباي بالاسكندرية ، وجميع جدران البرج كسيت بحجارة سطوحها ناعمة ، ولكن هذه الكسوة الرقيقة انتزعت من أجزاء كثيرة من هذا البرج خاصة من الركائز الركنية ومن الواجهتين الجنوبية والشرقية .

ومدخل البرج باب منخفض صغير يفتح في الواجهة الجنوبية ، قد جرد تماما من عناصره الزخرفية ، ويتعاقب في مداميك هذا الباب اللونان الأسود والأبيض ، ويؤدي هذا الباب الى قاعة تعلوها أربع قبوات متعارضة ترتكز عند تلاقيها على دعامة وسطى ، بينما ترتكز في الجوانب الأخرى على الجدران ، وفي الجدار الجنوبي شراب صغير ، وفي داخل سمك الجدار الشرقي درج يؤدي الى سطح البرج (١) .

أما تاريخ بناء هذا البرج فيرجع فيما يظهر الى عصر السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي وذلك للتشابه الكبير بين هذا البرج وبرج قايتباي الذي بناه بالاسكندرية ٨٨٢ هـ (٢) ويرجع سبب اهتمام الأشرف قايتباي بتحصين طرابلس وغيرها من ثغور الساحل الشامى والساحل المصرى (٣) الى اضطراب العلاقات بين دولة المماليك والدولة العثمانية (٤) لدرجة حدوث مصادمات مسلحة بين الطرفين ، وأغلب الظن أن قايتباي أسس هذا البرج عند زيارته لمدينة طرابلس سنة ٨٨٢ هـ ، في رحلة المشهورة الى بلاد الشام وأطراف دولة المماليك .

(١) كان يملو هذا البرج بأعلى الممشى شرفات ، على نحو ما نشاهده في برج قايتباي .

(٢) أنظر كتابي تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامى ص ٩٢ - ٩٧

(٣) زود قايتباي الاسكندرية بطابية ، وأقام طابية أخرى في رشيد في نفس العام .

(٤) أحمد السيد دراج : حم سلطان والدبلوماسية الدولية ، مجلة الجمعية التاريخية المصرية

١٩٥٩ ص ٢٠٣ - تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامى ص ٩٧

(د) الحمامات :

لم يبق من بين الحمامات الكثيرة التي كانت تزخر بها طرابلس في عصر المماليك سوى ثلاثة حمامات هي : حمام النورى وحمام الحاجب وحمام عز الدين .

أما الحمام النورى فيقع بالقرب من الجامع المنصوري الكبير ، ومازال هذا الحمام يؤدي وظيفته في الوقت الحاضر . أقيم سنة ٧٣٣ هـ في نفس الوقت الذي أسست فيه المدرسة النورية ، ويتكون هذا الحمام من غرف تعلوها قبوات وقببات تفتتح فيها مضامى (أى فتحات صغيرة لادخال الضوء) مسدودة بقيعان القناني الزجاجية الملونة ، في إحكام صنعة وأجل ترتيب ، وأكبر هذه الغرف ، الغرفة المعروفة بالبيت الساخن ، وتحيط بها مجموعة من المخادع الخاصة ، وتسمى الخلوات ، ومضامى البيت الساخن تؤلف تكويناً زخرفياً رائعاً ، يقوم على عقود نصف دائرية متقاطعة فيما بينها ، تحيط بأطراف القبة . ويشغل الفراغ المركزى زخرفة نجمية الشكل . وأغلب قببات هذا الحمام من النوع المفصص القائم على جوفات مقوسة في أركانه .

وحمام عز الدين بناه الأمير عز الدين أيبك الموصلى سنة ٦٩٤ هـ وكان نائباً لطرابلس فيما بين عامى ٦٩٤ هـ ، ٦٩٨ هـ ، وهى سنة وفاته . وقد دفن هذا الأمير في تربته التي أنشأها لصق حمامه . وما زالت نافذة هذه التربة تحمل نقشاً تاريخياً يسجل تاريخ وفاته ونقش تحته رنك الأمير .

وقد استغل عز الدين أيبك بقايا كنيسة صليبية في بناء حمامه ، فاستخدم نقوشها ورنخاتها وأحواضها لذلك الغرض . ومدخل الحمام يفتح على الشارع بعقد مذهب ، على رأسه قطعة من إفريز بارز مزدوج ، جوانبه تعبر عن أصله اللاتينى ، وعلى رأس العقد كتابة لاتينية نصها SCS JACOBUS وأغلب الظن أن هذا الجزء من البوابة من بقايا كنيسة سان جاك التي كانت تقوم في نفس هذا المكان أو قريباً منه ، وفي نهاية البوابة يفتح باب عقده نصف دائرى منكسر انكساراً طفيفاً . وعلى عتب هذا العقد نحتت صورة « جمل فصيحى » بين وردتين ويعلو هذه الصورة النقش الكتابى الآتى ECCE AGNUSDEI

ويتميز الحمام من الداخل بقبواته ذات المضامى وغرفة الثلاثة المعروفة بالبراني (وهي غرفة الثياب وتقع عادة بعد المدخل) ، والوسطاني (وهي الغرفة الدافئة وترتفع درجة حرارتها قليلا عن الغرفة السابقة) ، والحامي (وهي البيت الساخن) .

أما حمام الحاجب فقد بناه الأمير سيف الدين اسنندر كرجي المنصوري سنة ٧٠١ هـ بجوار المدرسة الزريقية . ويذكر النويري أنه «عمر بها حماما عظيما أجمع التجار ممن يجوب البلاد أنه ما عمر مثله في بلد من البلدان» وما زال هذا الحمام يؤدي وظيفته حتى اليوم منذ أكثر من ٦٥٠ سنة مضت (١) وعلى عكس ما يزعمه مؤلفو كتاب اليونسكو من أن هذا الحمام قد اندثر ولم يتبق منه الا بقايا قليلة (٢) ، فإن هذا الحمام يعتبر أول الحمامات الثلاثة من حيث احتفاظه بعناصره المعمارية . فهو يشتمل على أكثر من ١٢ قبية وكلها مخزومة بمضامى مزججة سليمة ، لا أثر فيها لهدم أو لتشويه ، وتتدرج في تخطيطه الغرفة الباردة فالدافئة فالساخنة ، بينما تتوزع حولها الحلوات الخاصة .

(هـ) الخانات والأسواق :

يحتل المركز العمراني الاقتصادي قلب مدينة طرابلس ، ويتمثل هذا المركز في الخانات والأسواق . أما الخانات فكانت تقع عادة بجوار الحمامات والأسواق ، وأهمها خان المنزل وخان الخياطين وخان المصريين وخان العسكر .

ويعتبر خان المنزل أجمل خانات طرابلس وأهمها ، فقد بناه الأمير سيف الدين اسنندر كرجي المنصوري فيما سبق سنتي ٧٠٠ ، ٧٠٩ هـ ، وواجهه هذا الخان غربية الشكل ، اذ يحف بباطن عقد البوابة المنكسر قطاعات مثلثة الأطراف تؤلف نوعا من الدالات المتصلة البارزة ، وتعتبر

(١) Bruce Condé op. cit. p. 120

(٢) تقرير بعثة اليونسكو الى لبنان ص ١٥

هذه الزخرفة تطورا لزخرفة الدالات الشائعة في زخرفة بوابات المساجد والمدارس بطرابلس . ويحتل طيلة العقد جامعة كبيرة حفرت فيها توريقات كثيفة ، أما الظاهرة الغربية في هذا الحان فهي أن عقود نوافذها مفصصة بفصوص من زهرة الزنبق ، تمثل تطورا فريدا في تاريخ عمارة الماليك ، ويعلو الواجهة افريز بارز يزدان بصف من المقرنصات الزخرفية المسطحة على شكل ورقة نبات متكررة .

أما خان الحياطين فقد بناه الأمير بدر الدين قبل سنة ٧٤٠ هـ ، وتتصل بارتبه بعمارة حمام عز الدين وخان المصريين ، وتؤلف جميعا جانبا هاما من المدينة التجارية . وخان الحياطين أشبه بدرب مقفل طوله نحو خمسين برا . ويتميز بوجود صفين من العقود الجانبية ، ويقطع الدرب من أعلى شرة عقود عرضية أشبه بالقناطر ، ولا يغطي هذه العقود سقف ، وفي هذا الحان الذي يقوم في نفس الوقت بوظيفة المصنع والسوق ، كانت بابك الشيا ب وتباع بالحملة على التجار (١) لتوزيعها . أما خان المصريين لى ما يزال يستخدم حتى اليوم مخزنا ، فقد أقيم فيما بين عامى ٧٠٩ هـ ٧٥٠ هـ . وتدور غرفه حول صحن مركزى مستطيل الشكل ، ويعلو الغرف ووات نصف أسطوانية عمودية على الصحن .

وخان العسكر يرجع تاريخ بنائه الى أواخر عصر دولة الماليك البحرية ، وقد استخدمه الماليك ثكنة عسكرية فسمى بذلك الاسم . ويتكون الحان من مجموعتين من البناء تدور كل منهما حول صحن مستطيل بداخله حوض للسقاية ، وينفتح على الصحن أبواب معقودة ، عقودها منكسرة من النوع الشائع في عمارة الماليك . وأهم العناصر المعمارية بالخان بواباته بعقودها المدببة ات السنجات الزنبقية .

وأهم أسواق طرابلس المملوكية سوق الحراج ، ويقع الى الجنوب شرقى من شارع الصاغة ، وهو سوق تعلوها قبوات متعارضة ترتكز على

(١) Bruce Condé, op. cit. p. 87

١٤ عمودا جرانيتية ضخمة ، لاتيغان لها ، ويرجع بعض المؤرخين تاريخ بناء هذا السوق الى عصر المماليك، بينما ينسبه الآخرون الى العصر الصليبي . ويغلب على الظن أن هذا السوق أقيم في مكان كانت تشغله كنيسة ، واستخدمت بعض أعمدتها وعقودها في اقامة هذا السوق .

* * *

وبعد فهذه الدراسة موجزه عن تاريخ وآثار مدينة طرابلس، قلعة العروبة في الشام، وصرحها المنيع ، وهذه الدراسة أقرب الى أن تكون تعريفا بالمدينة والدور الذي لعبته في العصر الاسلامي، والصلات التاريخية والفنية الوثيقة التي تربطها بمصر ، منذ أن حررتها الجيوش المصرية بقيادة الملك المنصور قلاوون . وشخصية المدينة المملوكية تنطبع في شوارعها الضيقة وأزقتها المتعرجة التي تعلوها الأقواس والحنايا، وفي قباب المدينة ومآذنها الرشيقة ، وفي أسواقها وخاناتها وحماماتها التي ما تزال تقوم بوظائفها حتى اليوم .

المراجع

١ - المراجع العربية القديمة

- ١ - ابن الأثير (على بن أحمد) : الكامل في التاريخ ، ١٢ ج ، بولاق ١٢٩٠ هـ .
- ٢ - ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد) الرحلة ، طبعة بيروت ١٩٦٠
- ٣ - ابن تغري بردي (أبو المحاسن) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٧ طبعة القاهرة ١٩٣٨
- ٤ - ابن شاهين الظاهري (غرس مالددين خليل) : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، بول رافيس باريس ١٨٩٤
- ٥ - ابن القلانسي (أبو يعلى حمزة) : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨
- ٦ - ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ج ٣ نشره الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠
- ٧ - أبو الفدا (إسماعيل بن علي عماد الدين) : المختصر في أخبار البشر ، القسطنطينية ١٢٨٦ هـ
- ٨ - أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل) : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين طبعة مصر ١٢٨٨ هـ
- ٩ - الأصبهري (أبو اسحق فارس) : مسالك الممالك ، ليدن ١٩٢٧
- ١٠ - الأصفهاني (عماد الدين) : كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي ، نشره كارلو دي لاندبرج تحت عنوان "Conquête de la Syrie et de la Palestine" ليدن ١٨٨٨
- ١١ - البلاذري (أحمد يحيى) : فتوح البلدان ، القسم الأول نشره الدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٦
- ١٢ - المقدسي (شمس الدين أبي عبد الله محمد) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٦
- ١٣ - اليعقوبي (أحمد أبي يعقوب بن جعفر) : كتاب البلدان ، ليدن ١٨٩١
- ١٤ - صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ، نشره الأب لويس شيخو ، بيروت ١٨٩٨
- ١٥ - ناصر خسرو علوي : سفرنامه ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥

٢ - المراجع العربية الحديثة

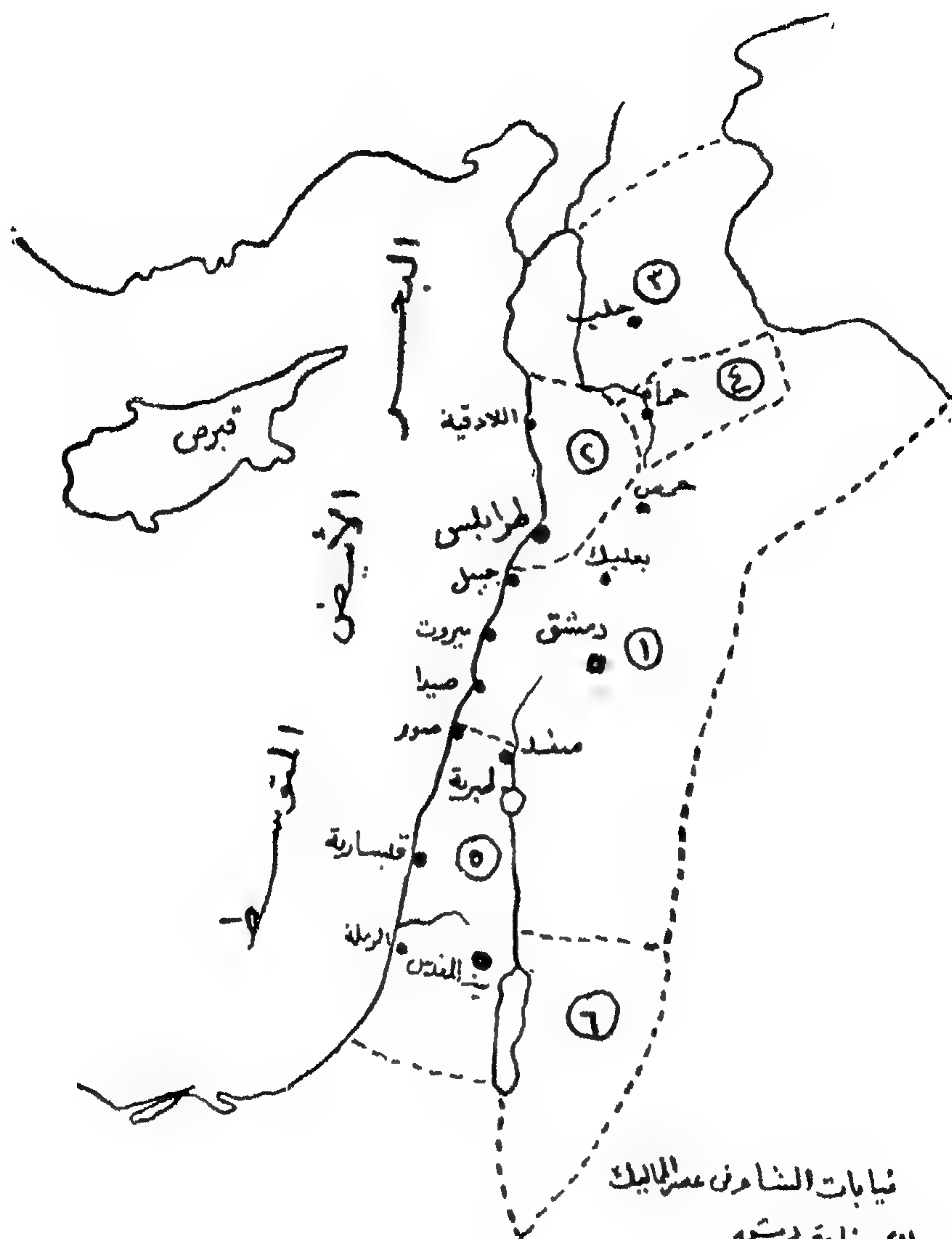
- ١٦ - الباي (الشيخ كامل) : من آثار التاريخ الطرابلسي ، حديث بمجلة الإرشاد الاجتماعي العدد ٢٧ ، طرابلس ١٩٦٢

- ١٧ - إبراهيم أحمد العدوى (دكتور) : الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم ، القاهرة ١٩٥٨
- ١٨ - البستاني : دائرة معارف البستاني ، مادة طرابلس .
- ١٩ - حسن أحمد محمود (دكتور) : مصر في عصر الطولونيين ، القاهرة ١٩٦٠
- ٢٠ - دراج (دكتور أحمد) : جم سلطان والدبلوماسية الدولية ، مجلة الجمعية التاريخية المصرية ١٩٥٩
- ٢١ - سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : بعض التأثيرات الأندلسية في العمارة المصرية الإسلامية ، المجلة العدد ١٢ ديسمبر ١٩٥٧
- ٢٢ - ... : المآذن المصرية ، نظرة عامة عن أصلها وتطورها ، القاهرة ١٩٥٩
- ٢٣ - ... : تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، الاسكندرية ١٩٦١
- ٢٤ - الشيال (دكتور جمال الدين) : وحدة مصر وسورية في العصر الإسلامي ، الاسكندرية ١٩٥٨
- ٢٥ - عاشور (دكتور سعيد عبد الفتاح) : قبرص والحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٥٧
- ٢٦ - ... : مصر في عصر دولة المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٥٩
- ٢٧ - فيليب حتى (دكتور) لبنان في التاريخ ، ترجمة الدكتور أنيس فريجة والدكتور نقولا زيادة ، بيروت ١٩٥٩
- ٢٨ - ... : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين في جزأين ، ترجمة الدكتور جورج حداد ، بيروت ١٩٥٨
- ٢٩ - كرد علي (الأستاذ محمد) : خطط الشام ، ج ٦ ، دمشق ١٩٢٨

٣ - المراجع الأوربية القديمة والحديثة

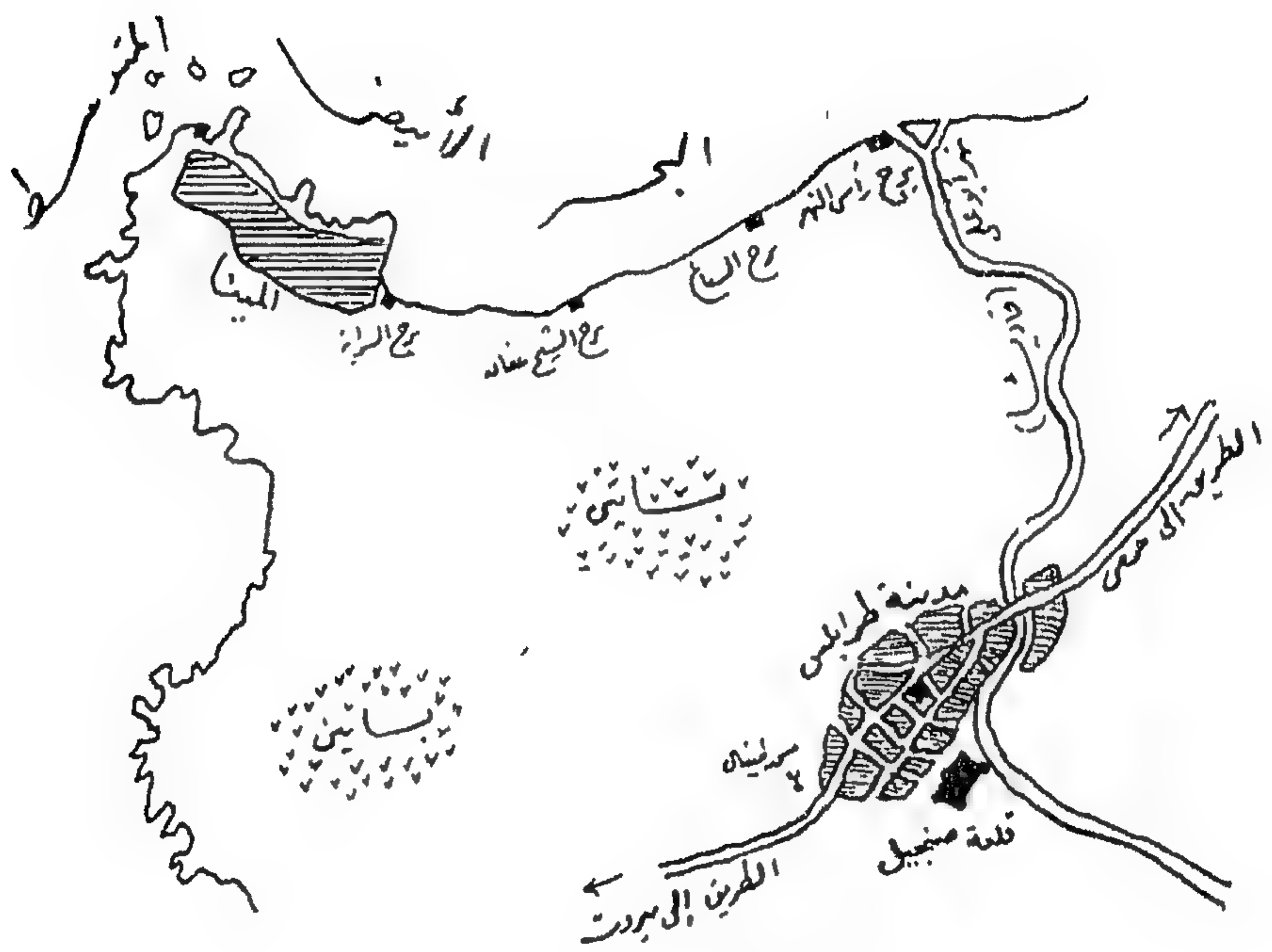
- ٣٠ - بنيامين التطيلي . رحلة بنيامين التطيلي ١١٦٠ - ١١٧٣ ، نشرها اجناثيو جنثالث مدريد ١٩١٨
30. *Viajes de Benjamin de Tudela*, Traducidos por Ignacio Gonzalez L Liubera, Madrid, 1918.
- ٣١ - بهل (ف) : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة طرابلس
31. **Buhl (fr.)** : Encyclopedia of Islam, Art. Tarabuls.
- ٣٢ - كندی (بروس) : طرابلس لبنان ، بيروت ١٩٦١
32. **Conde (Bruce)** : Tripoli of Lebanon, Beirut, 1961
- ٣٣ - هايد : تاريخ بحارة الشرق ، ح ٢ ، ليبزج ١٨٨٥
33. **Heyd** : Histoire du Commerce du Levant, t. II, Leipzig 1885.

- ٣٤ - تقرير بعثة اليونسكو الى لبنان . عضوية الأساتذة نول كويار ، والأمير موريس شهاب وأرماندو دبلون ، اليونسكو ، باريس ١٩٥٤
34. *Rapport de la mission envoyée par l'Unesco en 1953 au Liban*, membres . Mrs. Paul Collart, Emir Maurice Chehab et Armando Dillon, publié sous le titre; Liban, aménagement de le ville de Tripoli et du site de Baalbek, Paris 1954.
- ٣٥ - سوفاجيه (جان) . ملاحظات عن الدفاع عن ميناء طرابلس في مجلة متحف بيروت ، باريس ١٩٣٨
35. Sauvaget (J.) : Notes sur les defenses de la marine de Tripoli, dans, Bulletin de la musée de Beyrouth, Paris, Décembre 1938
- ٣٦ - سوبرنهايم (موريتز) . النقوش العربية في سورية الشمالية ، في معجم الكتابات العربية ج ٢٥ ، ١٩٠٩
36. Sobernheim (Moritz) : Corpus Inscriptionum Arabicarum, t. XXV, 1909.
- ٣٧ - فان برشم (ماكس) ، وفاتيوي (أدمون) : رحلة الى سورية نشرت في مذكرات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، عدد ٣٧ ، القاهرة ١٩١٤
37. Van Berchem (M.) & Fatio (E.) : Voyage en Syrie, dans Mémoires de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, t. 37 le Caire, 1914.

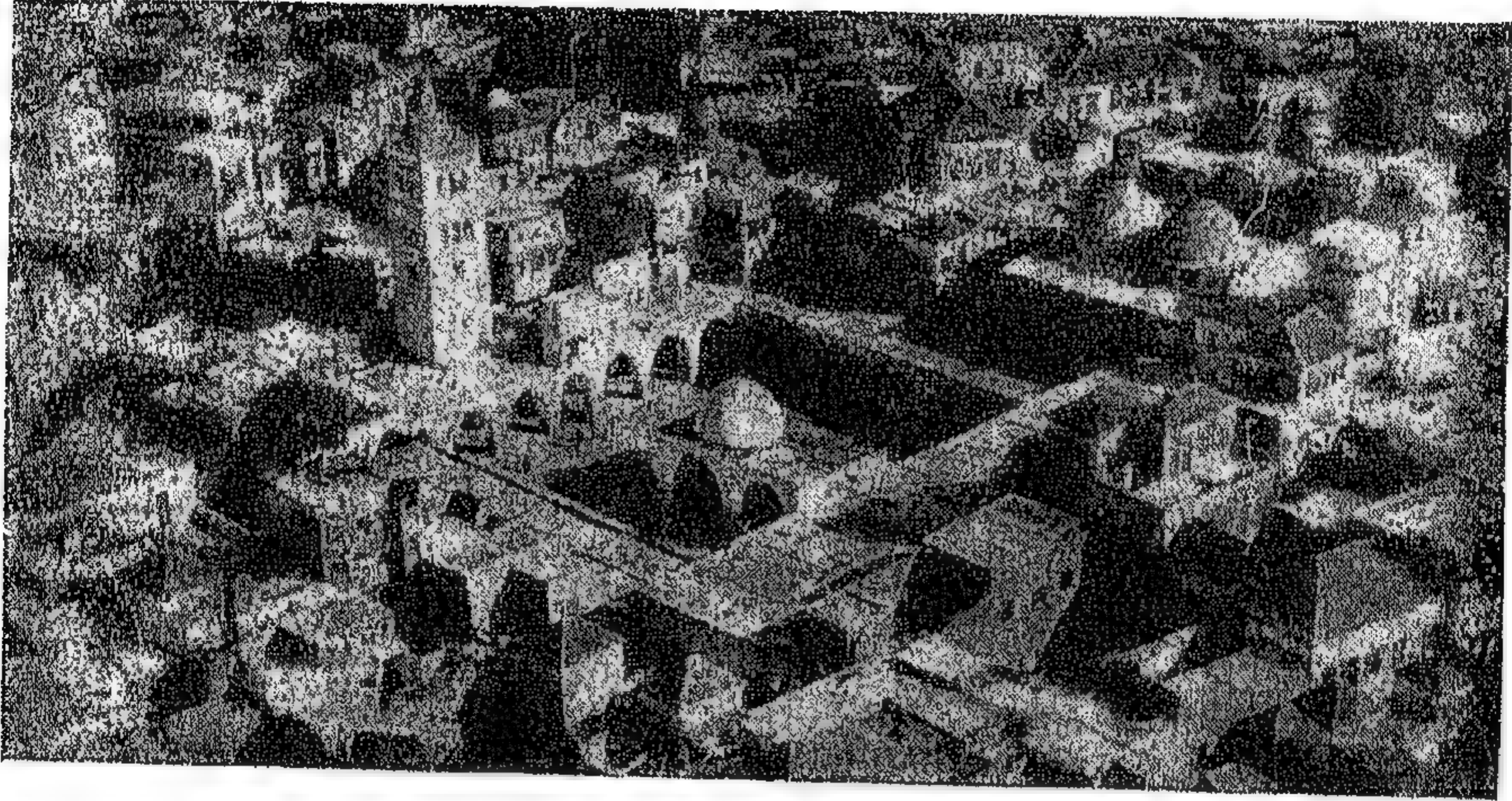


مناطق الشارون عماليك

- (1) شابة دمشق
- (2) شابة طرابلس
- (3) شابة حلب
- (4) شابة حماة
- (5) شابة صند
- (6) شابة افرك



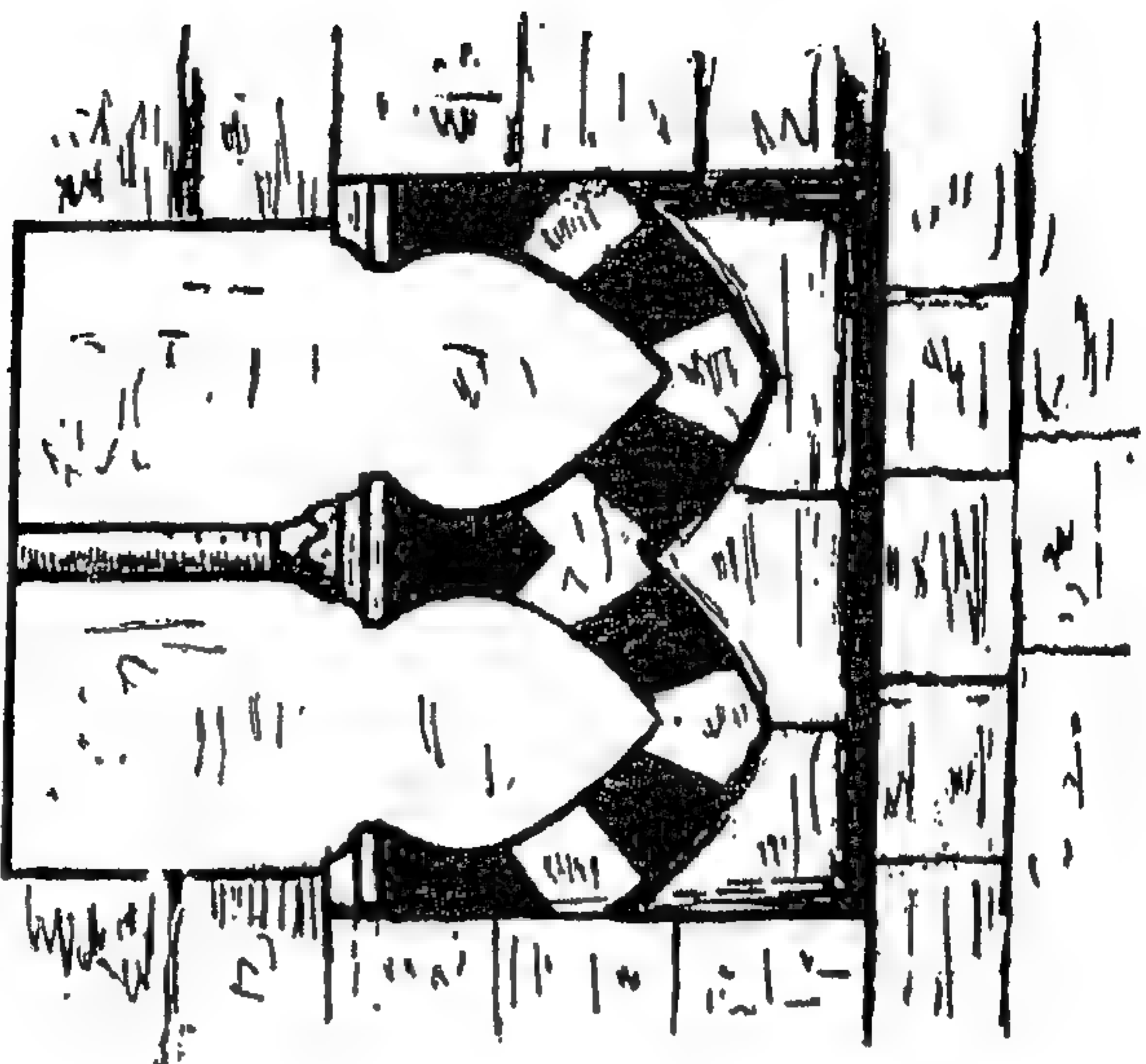
مدينة طرابلس والمينا



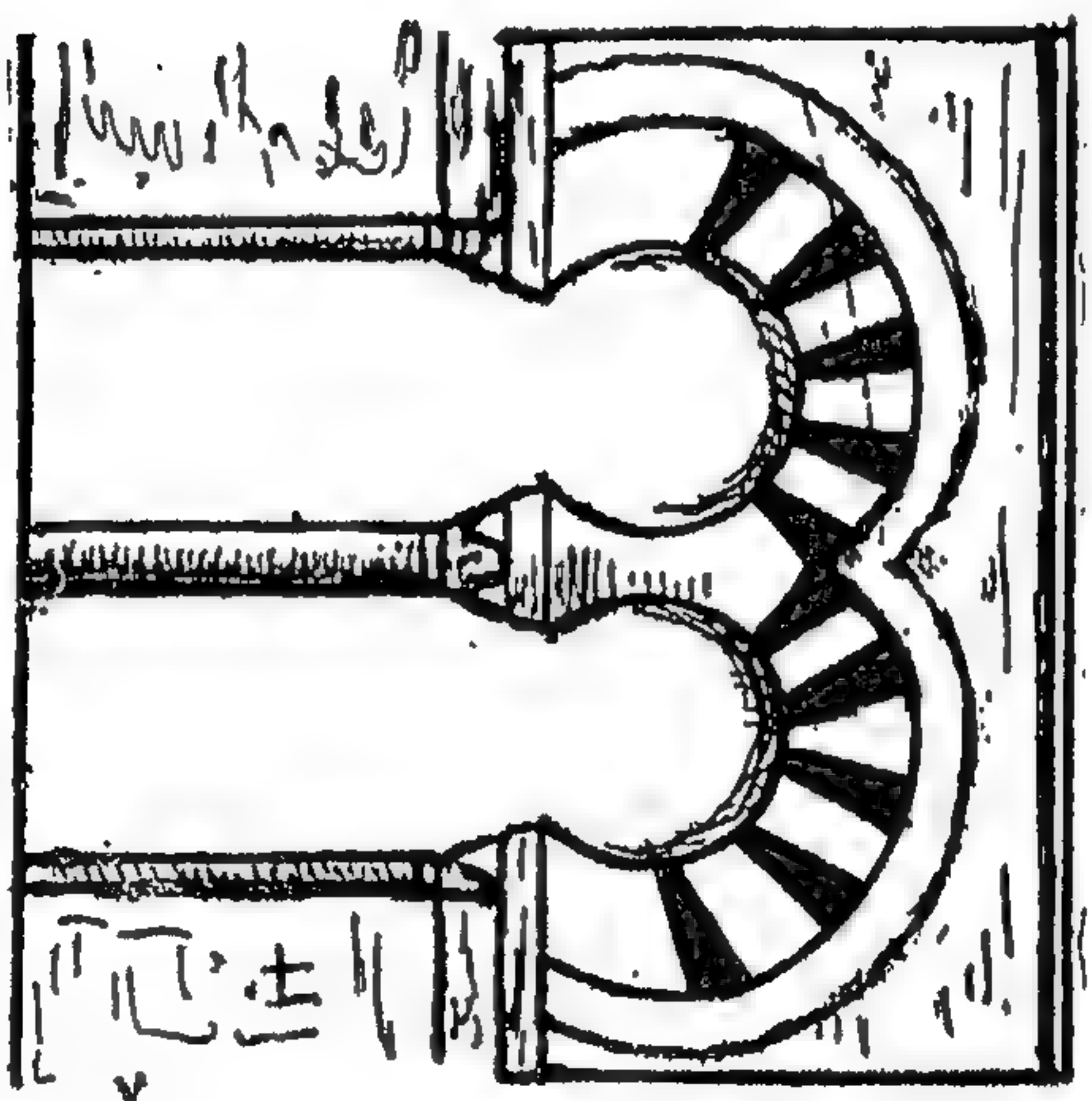
الجامع الكبير بطرابلس وتري المثلثة في الجهة الشمالية



واجهة المدخل بالمدرسة القرطائية



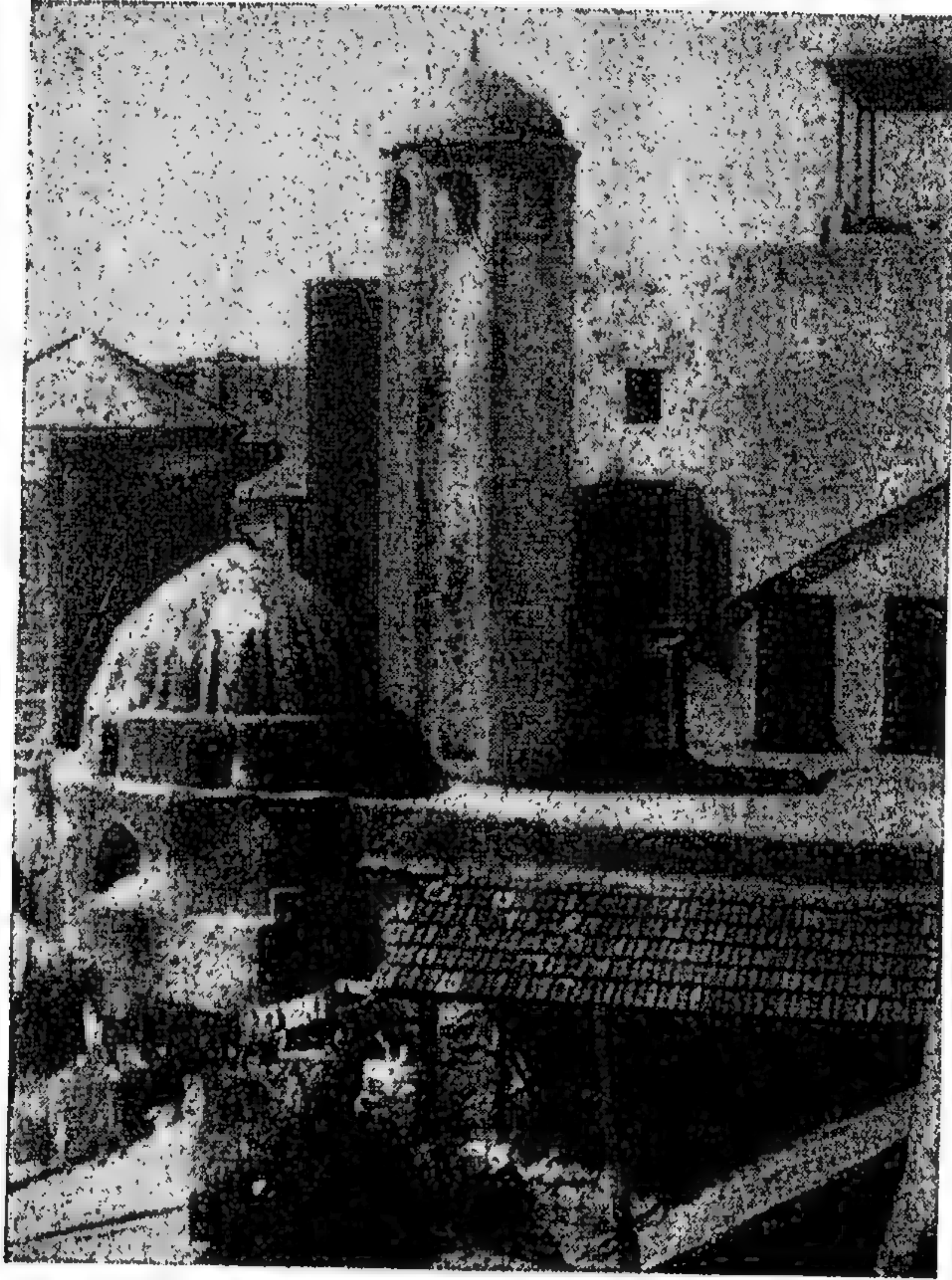
نافذة مزودة بالعد
بالدبسة البرطانية



نافذة مزودة بالعد بأحدى
بوابات المسجد الجامع بطنجة



نافذة بجانه المنزل



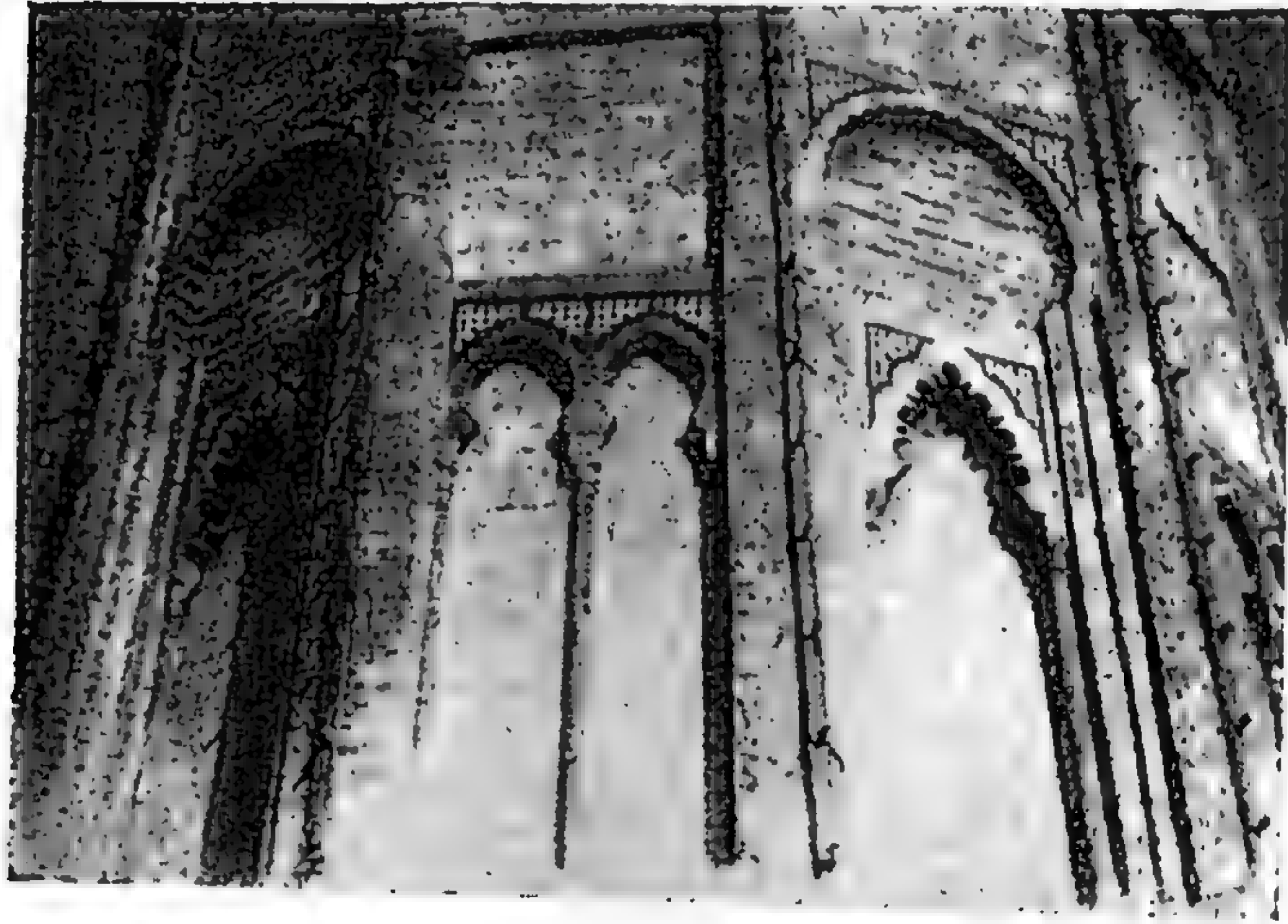
مسجد عبد الواحد المكناسي.



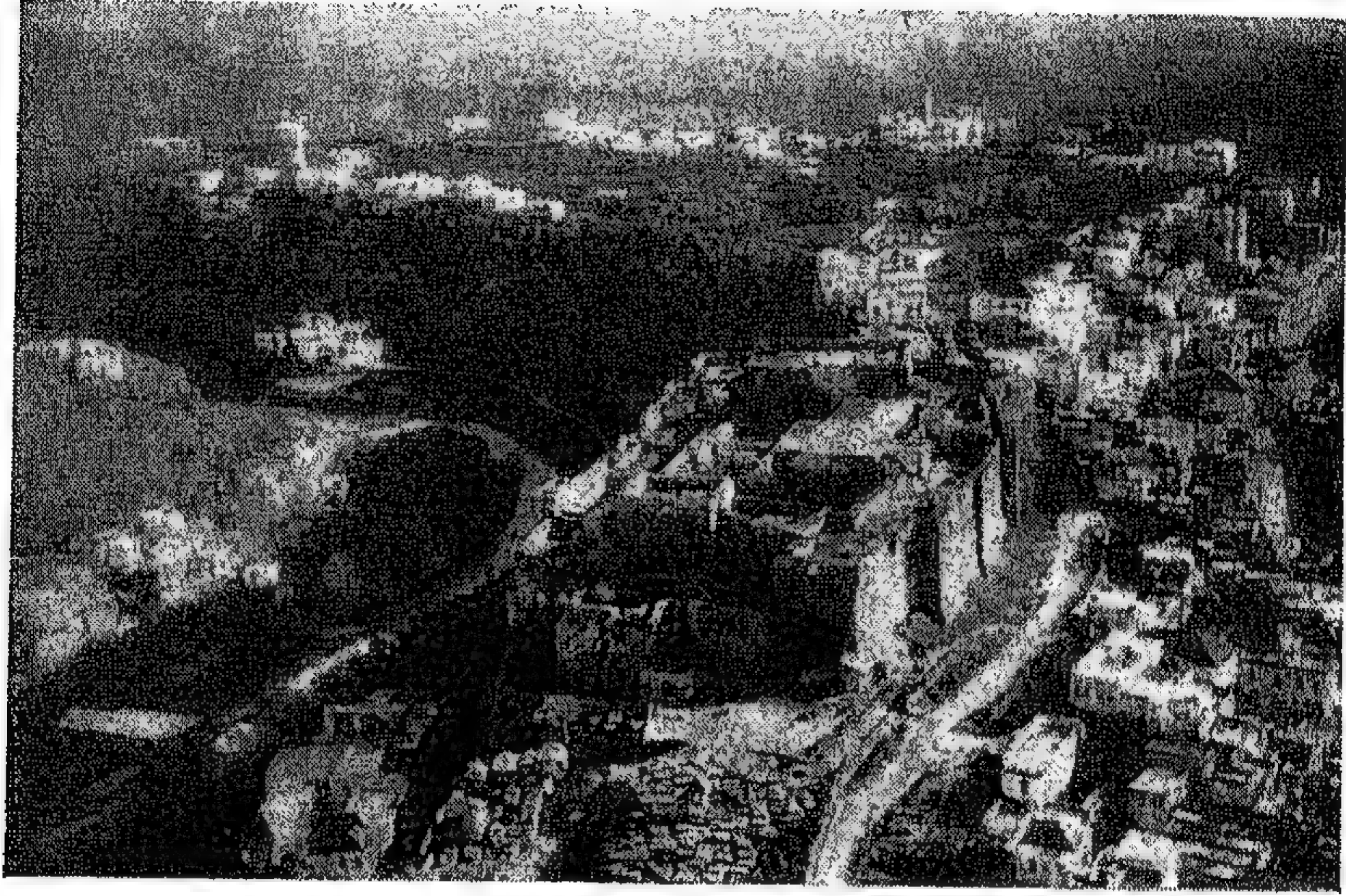
منذة المنصور قلاوون وبجوارها منذة الناصر محمد بالتحاسين



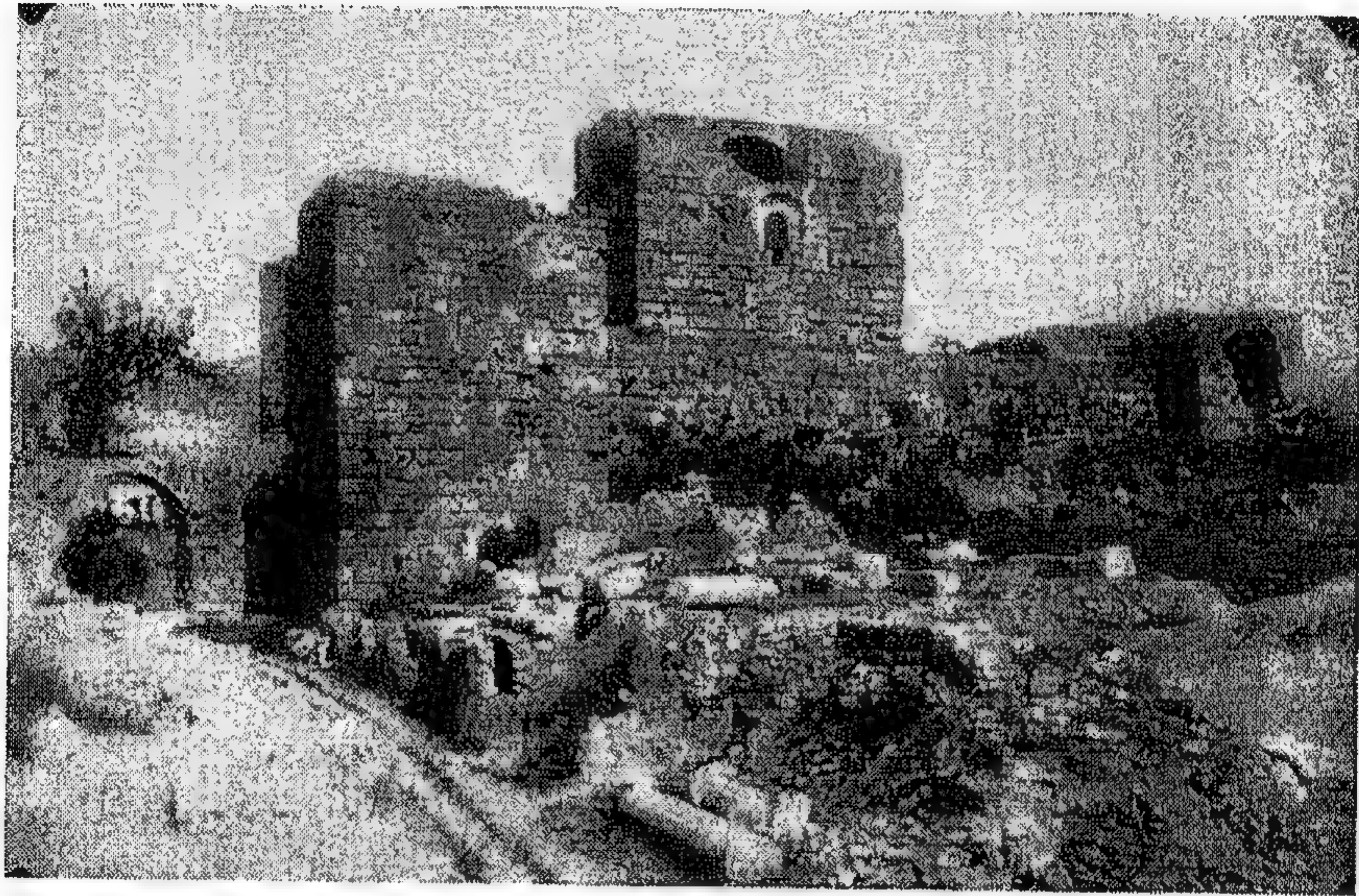
قلعة ص:جبل بطر اباس



اشبيلية : برج الذهب (من عصر الموحدين)
وترى العقود المتجاوزة المنكسرة والعقود المفصصة



منظر عام لقلعة صنعيل



قلعة جبيل



برج السباع : واجهة المدخل



خان الحياطين

(معلمة جامعة الاسكندرية ٥٠/٦٢/٣١٧)

